منهج التعامل مع الشاهد البلاغي
بين عبدالقاهر
وكل من السكاكي والخطيب القزويني

د. عويض بن حمود العطوي
قسم اللغة العربية - كلية المعلمين في تبوك

ملخص البحث

تقوم هذه الدراسة على محاولة استخلاص المنهج الذي تميز به كل من عبد القاهر الجرجاني في كتابيه (دلائل الإعجاز) (وأسرار البلاغة) ، والسكاكي والقزويني في كتابيهما (مفتاح العلوم) ، و(الإيضاح) ، في التعامل مع الشاهد البلاغي ، بغية الوصول إلى طريقة تخرج الشاهد البلاغي من النمطية والجمود الذي أصابه في عصور الشروح والحواشي والتقريرات .

وقد قامت هذه الدراسة على الموازنة بين المنهجين من خلال المحاور الآتية :

1. **النوعية .**
2. **الكمية .**
3. **الجدة والانتقاء .**
4. **التوثيق والنسبة .**
5. **التحليل والدراسة .**

وقد اتضح من البحث أن التميز الذي عرف به عبد القاهر لا يعود إلى الكثرة والجدة والتوثيق، لأنه وإن كان ذلك مؤثراً إلا أن السر الأوضح هو طريقة التحليل والدراسة التي اعتمدت على ما يلي :

1. **التمهيد للشاهد بما يجعله مقبولاً .**
2. **دعم الشاهد بشواهد أخرى لإيضاح جوانب الجمال فيه .**
3. **رفد الشاهد بما يسبقه أو يلحقه من أبيات .**
4. **عقد موازنات بين الشواهد جيدها ورديئها .**
5. **العرض الأدبي لجماليات الشاهد مع خلال التركيز على :**
   - **تفسير الجمال في ثوب الجمال .**
   - **مخاطبة وجدان المتلقي .**
   - **تربية الذوق عن الملقي وتدريبه على ذلك .**
   - **الدعوة الدائمة للتأمل والتفكير والتعمق في أسرار النظم .**

بينما تميز منهج السكاكي والقزويني بالإكثار من الشواهد القرآنية ، بل وحتى الشعرية عند القزويني ، لكن المشكلة لاتمكن في الكثرة بل في الطريقة التي تعاملا بها مع الشاهد، إذ إن عصرها وطبيعة التأليف فيه ، نحت بها نحو العناية بالتقسيمات والقواعد ، مما أضعف صلة القارئ بالشاهد وجمالياته .

لذا نلخص من هذه الدراسة بأننا بحاجة إلى تجديد منهج عبد القاهر في التعامل مع الشواهد بروح ذوقية تتناسب مع طبيعة هذا الفن (البلاغة) ، وتتم بانتقاء الجيد من الشواهد الذي يتيح مجالات واسعة للدراسة الأدبية .

مدخـــل

منـزلة الشاهد ومكانته في الدرس اللغوي:

لا أحد يشك في مكانة الشـاهد في العلـوم العربيـة والإسـلامية؛ وذلـك أن الشاهد يعد هو العصب لها في مرحلة التنظير، وهو المادة في مرحلة التطبيق.

والشواهد لا يقف تأثيرها عند هذا الحد بل إنهـا لتكـوّن في مجموعهـا تراثـاً حضـارياً للأمة لا يمكن التفريط فيه فضلاً عن تجاهله؛ لأنه مرتبط بثقافـة هـذه الأمـة ((ارتباطـاً وثيقاً منذ وقت مبكر من تاريخها، لما يختزنه مـن مـوروث ثقـافي وحضـاري في حيـاة العربي، ولماله من أثر كبير في تكوينـه الأدبي والمعـرفي، حـتى غـدا ثابتـاً مـن أهـم ثوابتها)) (1).

ويقول الدكتور إميل بديع يعقـوب إنهـا : ((تشـكل... قسـماً مهمـاً مـن تراثنا اللغوي عامة... وهي فضلاً عن ذلـك تؤلـف جـزءاً مهمـاً مـن تراثنـا الأدبي والحضاري))(2).

ورغم تنوع الشاهد، يبقى الشـعر هـو الأظهـر لكثرتـه وسـيرورته ولبنـاء قواعد اللغة والاستدلالات عليه، لذلك سنجعل هـذا الشـاهد الشـعري هـو مـدار دراستنا هذه.

لذلك كانت العناية بالشاهد قديمة، فهناك مـن يشـرحه ويبينـه، وهنـاك مـن يوثقه وينسبه، فهذا أبـو النحـاس (ت ٣٣٨هـ ـ)، يشـرح أبيـات سـيبويه، وذاك الخوارزمي يشرح شواهد الإيضاح، وغيرهم كثير.

ويبدو أن شواهد النحو والصرف واللغة هي من أكثـر شـواهد علـوم العربيـة ثباتاً ؛ لارتباطها بالقواعد التي بنيـت عليهـا، حـتى شـكلت جـزءاً لا ينفصـل مـن ثقافتنا؛ ولهذا فلا نعجب من العناية التي حظيت بها على مر العصور.

وإذا كانت سمة الثبات قد وجـدت في شـواهد النحـو والصـرف والمعـاجم وقضايا اللغة لأننا نتعامل مع قواعد وثوابت، فما هو حـال الشـاهد البلاغـي الـذي يستشهد به في قضايا ذوقية جمالية ؟ .

الأصل – والحال هذه – أن الشاهد البلاغـي ينبغـي ألا تحـده حـدود، لا في نوعه ولا في زمن الاحتجاج به ولا في طريقة تحليله ؛ لأن الهدف مـن هـذا الفـن هـو تربية الذوق، ولا أحد يماري في أثر الشواهد في ذلـك، يقـول الأسـتاذ/ عايـد سـليم الحربي: ((إن لشواهد البلاغة أهمية كبرى في تـذوق أسـرارها، واستكشـاف دررهـا، وتفيؤ ظلال البيان في أعلى مراتبها...))[٣].

والشاهد البلاغي يمتاز عن غيره بميـزات ترجـع إلى وظيفتـه والمـال الـذي يتحرك فيه.

فأما وظيفته فهـي القصـد إلى كشـف الجوانـب الفنيـة والأبعـاد الدلاليـة للتركيب الجميل، ومن هنا كان لا بد أن تكون النظرة إلى الشـاهد غـير موحـدة بـل متجددة مع كل دراسة، متميزة مع كـل تحليـل، وهـذا بخـلاف الشـاهد النحـوي والصرفي الذي يُورَد لقضية محددة وقاعدة معينة.

كما أن مجال الشاهد البلاغي أرحـب، والاختيـار فيـه أوسـع أفقـاً، فهـو يشمل كلام خلص العرب وكذلك كلام المولـدين، بينمـا علمـاء اللغـة والنحويـون لا يستشهدون إلا بشعر حقبة زمنية محددة، فأبو نـواس(ت١٩٩هـ) ومـن عاصـره ومن جاء بعده خارج نطاق الاستشهاد عندهم[٤].

وكما أورد ابن رشيق(٤٥٦هـ) فـ((المولودن يستشهد بهم في المعـاني، كمـا يستشهد بالقدماء في الألفاظ))[٥].

وهذا الاتساع في مجال الاستدلال أتاح للشاهد البلاغي التنوع والتمايز[٦].

الشاهد البلاغي وتهمة الجمود.

يتهم الشاهد البلاغي أنه بعد عصر ازدهاره على يد عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، قد أصابه الجمود، وتسللت إليه النمطية المعروفة في كثير من شواهد العربية ، فأصبح الدارسون يرددون شواهد معينة محفوظة لا يحيدون عنها، ولا يتميزون حتى في طريقة تحليلها وقراءتا .

يقول محمد أمين المؤدب: ((والمتأمل في مجال الشعر والعروض والنحو والبلاغة (للنمذجة) ، يدرك مظاهر ذلك الثبات دون كبير عناء، وتأسيساً على ذلك فإن البلاغيين -عبر تاريخ البلاغة- قد حددوا للبلاغة العربية موضوعها، ورسموا لها إطارها، كما حددوا لها المادة التي يستند إليها الدرس البلاغي، وفي مقدمتها الشاهد الشعري...))(٧).

وهذه النظرة هي السائدة عن الشاهد اللغوي عموماً، ويدخل ضمنه الشاهد البلاغي، وهي بلا شك لا تخلو من الحقيقة؛ لأن هذا الأمر يحس به كل من اطلع على المراجع العربية عموماً، ولحظ بعين البصيرة شواهدها.

بل إن الأمر يتعدى هذا أحياناً إلى أن يكون الشاهد الواحد دائراً في أكثر من علم وفرع، وإلى هذا يشير الأستاذ/ عبد السلام محمد هارون في كتابه الشهير معجم شواهد العربية، فيذكر أن ((الشاهد الواحد قد يستشهد به في أكثر من غرض، وفي عدة أهداف علمية))(٨).

ونحن وإن كنا نشارك الأستاذ المؤدب في ما ذكر في العموم، فإننا لا نوافقه على أن تكون نمطية تكرار الشاهد هي مثار الإشكال في القضية فحسب ، بل الأمر يتعلق أيضا بمنهج التعامل معه .

ولا شك أن الثبات والنمطية إذا كانت مقبولة في شواهد النحو

والصرف، فإنا لا يمكن أن تقبـل بحـال في شـواهد البلاغـة، وإذا كانـت الشـواهد الأخرى قد يكتفى منها بتعيين الشاهد ووجه الاستشهاد، فـإن شـواهد البلاغـة تحتـاج إلى نظر عميق في التحليل وبيان أسرار الجمال دون تقيد بزمن أو نمط معين.

والحق أن الذين درسوا تاريخ البلاغة لمحوا ما أصـاب الشـاهد البلاغـي بعـد عهدها الزاهـر على يد عبد القـاهر مـن تراجـع ، فجـاءت إشـاراتهم المتعـددة إلى التكرار والنمطية والنقل، يذكر الشيخ أحمـد مصـطفى المراغـي (ت١٣٤٥هـ) أن عبد القاهر كان إماماً لأهل هـذا الفـن (البلاغـة) ((يقتـدون بـه في وضـع هـذه المباحث ، وطريقة شرحها وبيانها، وأخذوا الأمثلـة والشـواهد الـتي ذكرهـا في كتبـه ولم يحيدوا عنها، حتى قيل ويحق ما قيل: إن من جاء بعده عيال عليه...))[٩].

ورغم مشاركتنا الشيخ المراغي في الإشـادة بعبـد القـاهر إلا أننـا لا نوافقـه على كل ما ذكر خصوصاً قوله : ((ولم يحيدوا عنـها)) ؛ لأننـا سـنعرف أن الخطيـب وهو من أشهر من أفاد من عبد القاهر قد حاد كثيراً عن شواهد عبد القاهر.

ويذكر الدكتور شوقي ضيف ما حـل بـالأدب عمومـاً ، وخاصـة في القـرن السادس الهجري وما بعده من نضوب وجمود، ويقول عـن البلاغـة في خضـم ذلـك: ((وهذه الظاهرة نفسها من التكرار ومن إجداب العقول ومـن الجمـود نجـدها تسـري بين أصحاب البلاغة بعد عبد القاهر والزمخشري(ت٥٣٨هـ)، فـإذا هـم لا يـأتون بجديد في مباحثهم البلاغية... فالأساتذة يدرسـونا [أي قواعـد البلاغـة] لتلاميـذهم، وقد يؤلفون فيها، دون عنايـة بالنصـوص إلا مـا يجلبونـه مـن لـدن عبـد القـاهر والزمخشري، ولا تظن أنهم يحتفظـون بتحليلاتهـا البديعـة لنصـوص الشـعر والنثـر، وآي الذكر الحكيم، فقد كان ينقصهم الذوق المرهـف والحـس الحـاد، كمـا كانـت تنقصهم الملكة البصيرة التي تستطيع تحليل النماذج الأدبيـة ، وتـبين مـواطن الجمـال الخفية فيها، بل أيضاً المواطن الظـاهرة))[١٠]، وواضـح مـن حكـم الـدكتور شـوقي ضيف بأنه يحيل باللائمة على أصحاب المختصرات والشروح الـذين عـد مـن أولهـم

الفخر الرازي(ت ٦٠٦هـ) والسكاكي(ت٦٢٦هـ)[١١].

ونحن لا نوافقه في أنه كان ينقصهم الذوق المرهف والحس الحاد، فلا يمكن أن يخلو من ذوق ولا من حس مرهف من أعجب بكتب عبد القاهر وفهمها وجعلها نبراساً، ومن فعل ذلك غير الرازي والسكاكي والقزويني(ت٧٣٩هـ) الذين تتجه إليهم سهام الاتهام ؟ .

لكن السر ليس في قلة الذوق والحس المرهف فيهم، بل هو سلطان العصر الذين يعيشونه، ورغبتهم تقديم نموذج في الدرس البلاغي يتواءم مع عصرهم، ونحن نوافق أن هذا المنهج أضر بالبلاغة من ناحية الجور على التحليل الأدبي البديع، وأحسن إلى البلاغة في حفظ وجمع أهم أسسها، وإن كنا نحبذ -بلا شك- الانفكاك عن سلطان القاعدة إلى معالم جمالية عامة مدعومة بشواهد ثرية، ومنتزعة من خلال تحليلات بديعة.

لذا كان لا بد للشاهد البلاغي من سمات تؤهله لذلك، لعل من أهمها الجمال والروعة، وكثرة الماء والرواء، والجزالة والقوة، والتجدد والحيوية؛ ذلك أن الشاهد البلاغي يتنامى مع تنامي الجمال، والجمال لا يتوقف ولا ُيحد .

لذا كان من أسوأ ما يؤثر على الدرس البلاغي جمود الشاهد، ونمطيته وضعف استكناه مواطن الجمال فيه.

فهل كانت تلك الدعاوى بعد هذا صحيحة، وهل نضبت شواهد البلاغة، وقل ماؤها وما المنهج الذي اتبعته أهم مدارس البلاغة في التعامل مع الشاهد؟

هذا ما ستحاول هذه الدراسة الإجابة عنه.

- **أطوار التأليف البلاغي.**

مرت البلاغة شأنها كشأن كل العلوم العربية بأطوار عدة، حتى استقرت على ما هي عليه، ومن البدهي أن التعامل مع الشاهد سيصبغ بسمات كل طور.

ونحن هنا لن نكتب في تاريخ البلاغة، لأن ذلك أمر خارج عن إطار هذه الدراسة ، وإنما سنبدأ بالنموذج الذي قيل إنه هو المحتذى وهو عبد القاهر ، الذي شأنه في البلاغة كشأن سيبويه(ت ١٨٠هـ) في النحو.

ونحن بهذا لا نصادر جهود الذين سبقوا عبد القاهر في البلاغة، بل جهودهم مشكورة معروفة، لكنها كانت منثورة منشورة، فلما جاء عبد القاهر جمع ذلك كله وحدد معالمه ، وزاوج بين التنظير المقبول والتطبيق الشائق ، في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز(١٢).

وهو بهذا يمثل الطور الأول (طور الازدهار والإبداع).

ثم يأتي بعده السكاكي والقزويني ومن تلاهما من أصحاب الشروح في طور آخر يمكن أن نسميه: (طور التقنين والتقعيد).

وسنتحدث عن منهج التعامل مع الشاهد البلاغي عند هاتين المدرستين من خلال ما يأتي :

١- النوعية.

٢- الكمية .

٣- الجدة والاختيار.

٤- التوثيق والنسبة .

٥- التحليل والدراسة.

-

منهج التعامل مع الشاهد عند عبد القاهر الجرجاني .

كان الدرس البلاغي شيئاً، وأصبح بعد عبد القاهر شيئاً آخر، ذلك أنه في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة قد بر بمنهجه كل من جاء بعده حتى قال فيه المراغي: ((وكل من جاء بعد عبد القاهر، فمن نور علمه قبس، ومن ينبوع بحره اغترف، وما زيد بعد من المسائل فقشور لا يضير العالم تركها))[١٣] ، ونحن إذ نوافق الشيخ المراغي -رحمه الله- على إبراز مكانة عبد القاهر وكتابيه، لا نتفق معه في أن ما أضافه غيره لا قيمة له؛ لأن هذه النظرة لا يستقيم معها إبداع .

ولا شك أن كتابي عبد القاهر فيهما كثير من قضايا النقد والبلاغة ؛ لذا حظيا باهتمام مشترك من النقاد وأرباب البلاغة منذ القدم ، بل حتى أصحاب النظريات الحديثة وجدوا في آراء عبدالقاهر ما يصلح أن يكون مداراً لبحوثهم[١٤].

وإذا كان محط التميز عند عبد القاهر هو ما أورده من آراء تنم عن عقلية عظيمة ، فإن منهجه في التعامل مع الشواهد التي أوردها، والتي قد يكون مسبوقاً في اختيار بعضها ، هو من أظهر ما تميز به أيضاً ، وهذا المنهج هو ما فقده كثير من المتأخرين ، وهذا ما سنركز عليه هنا، وسنتناول هذا المنهج من خلال ما يأتي:-

١ - **النوعية :**

استشهد عبد القاهر في كتابيه الدلائل والأسرار بالشعر، والقرآن، والحديث، والأقوال المأثورة، والحكم والأمثال.

وبالنظر في ذلك كله تبين أن الشعر هو الطاغي، حيث زادت شواهده في الكتابين على التسعمائة شاهد، كانت قريبة من المناصفة في كل كتاب؛ بينما نجد عدد الآيات في الدلائل تقل عن المائتين قليلاً، وفي الأسرار لا تبلغ المائة، وأما

الأحاديث والآثار والأمثال والحكم فهي قليلة عموماً في الكتابين.

وهذا يعني أن الشاهد الرئيس الذي اعتمد عليه عبد القاهر هو الشعر، وهذا أمر واضح في كتابيه، فأنت لا تعدم في كل صفحة أن تطالع بيتاً أو أبياتاً.

وقد يعاب هذا على رجل اعتنى بالإعجاز، ويبرز السؤال: لِمَ لم يكن القرآن هو شاهده الأول؟ .

وهذا لو تأملناه ليس بمعاب عليه؛ لأن ما كتبه يعد في تأسيس أركان هذا الفن، ورسم معالمه ، يقول الدكتور أحمد بدوي مفسراً هذا الأمر: ((وربما يكون سر ذلك يعود إلى أنه أراد أن يجعل كتابه [الدلائل] خالصاً لشرح المقياس الذي يقاس به إعجاز القرآن، وهو بلاغته التي ترتفع إلى أسمى الدرجات ، فبين معنى البلاغة، وترك للقارئ الناحية التطبيقية على القرآن))[١٥].

ولا شك أن شعر العرب كان ولا يزال هو المورد الذي يعاد إليه لمعرفة قوانين العرب في الكلام، وهذا لا يضير القرآن ولا ينقص من منزلته، ولا يعني أننا جعلنا الشعر أصلاً للقرآن، وقد كان ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهما- وهو حبر الأمة وترجمان القرآن ((يسأل عن الشيء بالقرآن، فيقول : فيه هكذا وهكذا، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا))[١٦].

وبذا نعلم أنه ليس بغريب على عبد القاهر أن يكثر من الاستشهاد بالشعر الذي يمثل عصوراً عدة، ومشارب متنوعة؛ لأن المقصود دراسة الأساليب، والوقوف على أسرار التراكيب، التي يمكن من خلالها دراسة أسرار القرآن ((وعبد القاهر في منهجه هذا يبغي أن يسوق دليل الإعجاز، لا الحديث في الإعجاز والتفسير للقرآن))[١٧].

كما أن الشعر يتاح فيه من الموازنات بين الجيد والرديء ما لا يتاح في القرآن، وللموازنات عنده شأن لا يخفى ، لذا احتفى بالشعر وأكثر منه[١٨].

وعلى هذا فلو نظرنا إلى الآيات التي ساقها عبد القاهر، والتي تزيد على مائتين وستين آية نجد أنها غير قليلة ؛ لأنه لم يؤلف كتاباً في إعجاز القرآن ، أي يبحث أصلاً في القرآن، بل ألف كتاباً في الدلائل التي نتوصل بها إلى الإعجاز، وذلك مرده لغة العرب ومعرفة أساليبها، والشعر خير ما يمثل ذلك .

٢ - **الكمية** .

قدمنا أن شواهد عبد القاهر الشعرية تزيد على التسعمائة ، والقرآنية تزيد على المائتين والخمسين، والبقية قليلة.

وهذا يعطينا مؤشراً مهماً لكثرة الشواهد في الكتابين، وغنائهما بالمادة التطبيقية.

ولا نكاد نجد بعد عبد القاهر أحداً من البلاغيين بلغت لديه الشواهد هذا المبلغ من الكثافة والكثرة، ومما لاشك فيه أن كثرة الشواهد لديه، ودقة اختيارها، قد أسهمت في رفع مكانة الكتاب، وأوضحت الوجه الأدبي الجميل الذي تتميز به دراسته، لكنها ليست السبب الرئيس في تميزه في هذا المجال، بل مايميزه هو ماسنعرفه عنه من تفرد في التحليل والدراسة.

٣ - **الجدة والاختيار** .

لا يزعم أحد أن عبد القاهر قد ابتكر تلك الشواهد كلها، بمعنى أنه لم يتابع أحداً قبله في بعضها، وهذا أمر لا يعيبه، لكن الذي يتميز به هو اختياره، فكما قال ابن عبد ربه(ت٣٢٨هـ) في عقده الفريد: ((اختيار الرجل وافد عقله))[١٩] .

وقد اتضح عند عبد القاهر حسن اختيار الشواهد وانتقائه لها يكون مناسباً للغرض الذي يود التحدث فيه.

يقول الدكتور عبد الكريم الأسعد في معرض موازنته بين عبد القاهر والسكاكي: ((فعبد القاهر امتاز بإيثاره استعمال الشواهد المختارة بصورة عفوية طبيعية لا قسرة ولا تكلف فيها، وباستنباطه ما يشاء من القواعد البلاغية منها في يسر وبساطة...))[٢٠]

ونجد في كلام عبد القاهر ما يشير إلى معاناته في تصفح الدواوين واختياره الشاهد المناسب منها ، فها هو ذا يقول في الدلائل: ((ثم إنك تحتاج أن تستقري عدة قصائد، بل أن تفلي ديواناً من الشعر، حتى تجمع منه عدة أبيات))[٢١] ، فهذه معاناة حقيقية تدل على اهتمام بالغ في التنقيب عن الشعر الذي يحمل سمات خاصة، فليس كل شعر حري بالتأمل ولا بالدراسة والاهتمام .

ومن كان هذا اهتمامه وتلك نظرته إلى جيد القول، فلا يستغرب منه أن يكون ملماً بمثل هذا القدر من النماذج الجميلة، بل وبغيرها، لأنه كما يقول عنه الدكتور شوقي ضيف بعد دراسة لكتابيه : ((كان محيطاً بنماذج الشعر العربي وفرائده...))[٢٢] .

ومما يدل على هذا أن استدلالاته كان مقياسها الجمال أياً كان قائله سواء أكان من القدماء أم من المحدثين ؛ لذا تنوع الشعراء الذين استدل بإبداعهم.

فنجد أشعاراً للجاهليين وللإسلاميين، وإن كانت بدرجة أقل من غيرهم، ويتضح لمن تأمل شواهده كثرة ورود شعر الشعراء العباسيين وخصوصاً الأعلام منهم أمثال: أبي تمام(ت٢٣١هـ)، والبحتري(ت٢٨٥هـ) وابن المعتز (ت٢٩٦هـ) والمتنبي(ت٣٥٤هـ)، وقد استدل الدكتور مصطفى الجوزو بهذا التركيز على الشعر العباسي بأن ((عمود البلاغة مركوز على شعر هؤلاء العباسيين الثلاثة: أبي تمام والبحتري والمتنبي، أما الجاهليون والإسلاميون فقلما استشهد البلاغيون بشعرهم))[٢٣] .

وهذا الحكم في مجمله صحيح خصوصاً عند عبد القاهر الجرجاني، لكن الذي لا يقبل أن الدكتور الجوزو قال في الاستدلال على الاقتصار على شعر المحدثين: ((بل أوضح دلالة من ذلك أن يستشهد الجرجاني بابن بابك (ت٤١٠) ويضرب صفحاً عن كل الجاهليين والإسلاميين باستثناء بعض الأمويين))[٢٤] .

فهو هنا يعمم تعميماً غير مقبول ؛ لأنه ينفي استشهاد عبدالقاهر بشعر الجاهليين وكثير من الإسلاميين .

بل هناك جاهليون، وشعراء من صدر الإسلام وآخرون من غيرهم ، ويكفي دليلاً على هذا أن نعلم أن عبد القاهر قد استشهد في أسرار البلاغة بشعر أكثر من مائة وثمانين شاعراً ، وفعل مثل ذلك في الدلائل ، بدءاً من الجاهليين وانتهاءً بعصره، لكن النسب تختلف، والكثرة بلا شك للعباسيين .

وقد أورد الدكتور الجوزو إحصاءات تظهر حيازة ابن المعتز -وهو من شعراء الصنعة- على قصب السبق في عدد الشواهد ، ثم يليه البحتري (ت٢٨٥هـ) ثم المتنبي(ت٣٥٤هـ) ثم أبو تمام(ت٢٣١هـ)، وكان اعتماده على أسرار البلاغة[٢٥] ، ولو أنه نظر في (الدلائل) لوجد أن ابن المعتز قد كان في ذيل القائمة بأبيات لا تصل العشرة، بينما يتقدم في المقدمة المتنبي بـ (٥٧) شاهداً، يليه البحتري بـ(٤٨) شاهداً، ثم أبو تمام بـ(٤٥) شاهداً، ولعل السبب في تقدم ابن المعتز في الأسرار أنه كثير التصوير وميدان ذلك مباحث كتاب أسرار البلاغة ، أما البقية فشواهدهم متقاربة في الكتابين، ولو أردنا أن نضع جدولاً نائياً لحجم

شواهد هؤلاء الشعراء في الكتابين، الدلائل والأسرار لكانت على النحو الآتي:

الشاعـــر	عدد الشواهد في الدلائل	عدد الشواهد في الأسرار	المجمـوع
المتنبي	٥٧	٤١	٩٨
البحتري	٤٨	٤٧	٩٥
أبو تمام	٤٥	٣٧	٨٢
ابن المعتز	٧	٥٣	٦٠
			٣٣٥

وليس يخفى على أحد اهتمام عبد القاهر بشعر هؤلاء الشعراء، يكفي في ذلك أن نعلم أن مجموع شعرهم الذي استشهد به قد زاد على ثلاثمائة شاهد، وهذا يعادل ثلث استشهاداته الشعرية تقريباً، وتظهر عبارات استجادته لأشعارهم أكثر من غيرهم، ومعرفة ذلك لا تحتاج إلى كبير عناء لمن تصفح كتابيه، أما البحتري –خصوصاً- فإنه يصرح بإعجابه به في مثل قوله : ((وإنك لا تكاد تجد شاعراً يعطيك في المعاني الدقيقة من التسهيل والتقريب، ورد البعيد الغريب إلى المألوف القريب ما يعطي البحتري، ويبلغ في هذا الباب مبلغه))[٢٦].

وتقول الدكتورة نجاح الظهار عن هذا الأمر بعد دراسة مستفيضة لشواهد دلائل الإعجاز: ((وفي الدلائل كان يستشهد بمعظم أبياته [أي البحتري] في مواقع الاستحسان، فلم أقف له إلا على موضع واحد -غير باب الموازنة- عاب فيه البحتري))[٢٧] .

ولعل سر إكثاره من شعر المحدثين هو ما فيه من طرافة وجدة تساعده على إظهار ما يريد من جماليات الكلام[٢٨] .

وهذا المنهج هو الذي ينبغي أن يسود في مؤلفات البلاغة ؛ لأن إيراد

الشواهد من إبداعات العصر أقرب إلى استبصار جوانب الجمال ، من شواهد بعيدة في صورها عن الزمن الذي يؤلف فيه المؤلف كتابه، مع الاحتفاظ بالسمات الأصلية والمعالم العامة لجماليات القول العربي ، وهذا ما فقدته كثير من المؤلفات التي تلت عبد القاهر.

٤ - التوثيق والنسبة : -

يعد توثيق الشواهد مؤشراً على دقة الكاتب وإحاطته بما ينقل ، وقد ألفت مؤلفات من أهدافها توثيق الشواهد وردها إلى مصادرها ونسبتها إلى قائليها ، من ذلك في البلاغة .

- شرح أبيات الإيضاح ، لفخر الدين الخوارزمي .
- شرح أبيات تلخيص المفتاح للسيوطي (ت ٩١١هـ).
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسي (ت ٩٦٣هـ).
- عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر ، لحسين العاملي (ت ١٠٧٦هـ) .
- القول الجيد في شرح أبيات التلخيص وشرحيه وحاشية السيد ، لمحمد ذهني (ت ١٣٢٩هـ) .

وكل هذه الشروح المخطوط منها والمطبوع(٢٩) ، تعتني بالنسبة والتوثيق إضافة إلى الشرح والبيان .

ولعل مما أحوج إلى هذا النوع من التأليف، عدم العناية الكافية بجانب النسبة والتوثيق، عند واضعي أصول فنون اللغة المختلفة، ((ذلك أن الهدف الأساس كان ملاحظة اللغة، والوصول إلى القواعد من خلال هذه الملاحظة، وللتتبع والوصول لهذه الغاية لم تنل فكرة جزئية –كنسبة النصوص لقائليها- الاهتمام والاستقصاء)) (٣٠).

ومن خلال تتبع منهج المدرستين ، يتضح لنا تفاوتـا واضـحا في العنايـة بـهذا الأمر، فعبد القاهر في أغلب شواهده يعتني بنسـبة البيـت إلى قائلـه ، وأحيانـاً يعـزوه إلى بعض من أورده(٣١) .

وقد تتبعت شواهده في كتاب الدلائل وما ألحق به ، فوجـدت أنـه أغفـل مـا يقارب مائة وخمسة وأربعين شاهداً دون نسبة ، منـها مـا يقـارب عشـرين شـاهداً في الملاحق ، والباقي في صلب الـدلائل، مـن أصـل مجمـوع الشـواهد الـتي تقـارب (أربعمائة وثمانين) شاهداً ، وقد ظهر أنه أحياناً يسرد مجموعـة شـواهد قـد تصـل إلى عشرة لا ينسب منـها واحـداً(٣٢) ، وأحيانـاً ينسـب في أول الكتـاب ويتـرك بعـد ذلك(٣٣) ، وأحياناً يهمل في الموضعين، في أول ذكره وفي الإعادة(٣٤) .

وهذا يعني أن جل شواهده منسوبة، وهـذا يـدل علـى إحاطتـه بمـن ينقـل عنهم ، ويأخذ شعرهم، وقد اتضح لي أن (السـكاكي والقـزويني) يأخـذان عنـه مـا نسب، ويتركان ما ترك ، ولكن السكاكي خصوصاً قـد يـدعوه الاختصـار إلى إهمـال ما نسبه عبد القاهر ، أما القزويني ففي الغالب يوافقـه ويتابعـه ، وسـيأتي بيـان ذلـك في موضعه إن شاء الله .

٥ - التحليل والبيان والدراسة .

لعلي لا أبالغ إذا قلت إن أبرز ما يميز عبـد القـاهر في هـذا المضـمار قدرتـه الفائقة على تحليل الشواهد، وتفسير أسرار الجمال فيهـا، علـى نحـو لم نشـهد مثلـه عند السابقين بهذه السعة والكثرة والثراء، ولم نشهد مثله عند اللاحقين له.

قد يشترك عبد القـاهر مـع بعـض السـابقين في بعـض الشـواهد ، لكنـه بطريقته في التعامل معها نقلها من طور التكرار والابتـذال إلى طـور الجـدة والطرافـة ، يقول الأستاذ/عايد الحربي عن شواهد عبدالقاهر في أسـرار البلاغـة: ((ولـو نظرنـا إلى تأثره في جانب الشواهد لوجدناه في الغالب تأثراً شـكلياً، فنجـد أن معظـم شـواهده

قد وردت في كتب السابقين، كالبديع لابن المعتز(ت٢٩٦هـ)، والموازنة للآمدي(ت٣٧١هـ)، والوساطة للجرجاني(ت٣٦٦هـ) ، والكامل للمبرد (ت٢٨٥هت)، والشعر والشعراء لابن قتيبة(ت٢٨٠هـ)...إلخ .

ولكن مضمون حديثه عن هذه الشواهد يفوق كثيراً ما كتبه عنها السابقون))[٣٥] .

ولا تكاد تجد أحداً تعرض لدراسة كتب عبد القاهر إلا ويشيد بهذا الجانب الرائع عنده ، كما أن من المشهود به أن عبد القاهر حاول وضع أسس هذا الفن، وهذا يقتضي شيئا من التقسيمات، وقد كان ذلك ، ومع هذا لا نجد أثراً لتلك التقسيمات في تجفيف أسلوب العرض، ذلك أن عبد القاهر الجرجاني: ((كان له حس مرهف، وبصيرة نافذة ، استطاع بما على الرغم من محاولته وضع القوانين لنظريتي المعاني والبيان، أن يجعل منهما بنيتين حيتين تخلوان تماماً من جفاف النظريات وقواعد العلوم، بل لكأنهما روضان مونقان يرفان بالنضرة، والعطر، والضياء))[٣٦] .

ويمكننا من خلال النظر في طريقته في تحليل الشاهد البلاغي أن نتلمس أهم سمات تلك الطريقة فيما يأتي:

أ- التمهيد للشاهد.

ب- رفد الشاهد بالأبيات التي تسبقه أو تلحقه.

ج- تدعيمه بشواهد أخرى مماثلة.

د- عقد موازنات بين الشواهد .

هـ - العرض الأدبي لجماليات الأسلوب.

أ - التمهيد للشاهد.

فلما نجد مبحثاً إلا ويقدم فيه عبد القاهر مقدمةً تشوقك إليه، وأحياناً يختمه بأهم ما يريد أن يوصلك إليه(٣٧) .

ثم هو يضيف لذلك أحياناً تمهيداً للون الجمالي والأسلوبي للشواهد التي يريد ذكرها، كقوله عن حذف المبتدأ، ((ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ (القطع والاستئناف)، يبدؤون بذكر الرجل، ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاماً آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ))(٣٨)، ثم ساق الشواهد الكثيرة على ذلك .

ولا شك أن هذا التمهيد وتلك التهيئة، تجعل النفس مستعدة لتلقي الجمال وأوجه البيان فيما سيذكر من شواهد ، وهذه الطريقة لا نجد منها عند المتأخرين إلا المقدمة العامة للموضوع، أما التهيئة قبل الشواهد أو التعليق عليها مجتمعة فإنها نادرة عند المتأخرين .

ب - رفد الشاهد بما يسبقه أو يلحقه من أبيات.

وهذه ظاهرة واضحة عند عبد القاهر، فها هو ذا ينشد خمسة أبيات لعلي بن محمد بن جعفر، ثم يقول: ((المقصود البيت الأخير(٣٩)، ولكن البيت إذا قطع عن القطعة كان كالكعاب تفرد عن الأتراب فيظهر فيها ذل الاغتراب، والجوهرة الثمينة أبهى في العين وأملأ بالزين ، منها إذا أفردت عن النظائر وبدت فذة للناظر))(٤٠) .

ولا شك أن هذه النظرة هي مما أعلى شأن عبد القاهر، لأنها تعين على الإقناع بجمال الأسلوب، وهو يكرر هذا المبدأ في قوله: ((فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه، ولا تقضي له بالحذق والأستاذية وسعة الذرع وشدة المنة، حتى تستوفي

القطعة وتأتي على عدة أبيات))[٤١] .

جـ - تدعيم الشاهد بشواهد أخرى مماثلة .

يذكر عبد القاهر أحياناً بعد الشاهد الذي يورده لها يريد مجموعة شواهد قد لا يحللها ولا يعلق عليها، وإنما يوردها لتدعيم الشاهد الأول، وأحياناً يتبع تلك المجموعة بتعليق ختامي.

ففي موضوع الحذف مثلاً نجده يورد تسعة شواهد متتالية بعضها عدة أبيات، لا يفصل بينها إلا بتعليق يسير، ثم يتبع ذلك كله بقوله: ((فتأمل هذه الأبيات كلها، واستقرها واحداً واحداً وانظر إلى موقعها من نفسك، وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها...))[٤٢] .

وفي هذا التعليق ما يشعر بأنه ما أتى بهذا العدد من الأبيات إلا وهو يقصد مزيداً من الإقناع للقارئ بالفكرة التي يريد، وهذه -ولا شك- طريقة فُقدت في عصر التقعيد والتقنين، وتأمل ما أورده في التشبيه المقلوب، حيث ذكر ما يقارب خمسين شاهداً، كان مجموع أبياتها يقارب التسعين، لا نجد فيها إلا تعليقات متفرقة، ثم ختم ذلك السيل من الأبيات بتعليق مطول عن سر العكس في التشبيه ومورد الحسن فيه ومتى يصلح ومتى يقبح[٤٣] .

وكأنه بهذا يوجد للقارئ مادة تطبيقية واسعة ، ويترك له المجال ليجول بفكره في أسرار الجمال فيها .

د - عقد موازنات بين الشواهد .

وهذه طريقة رائعة في إظهار وجه الجمال، وقد تكون الموازنة بين بليغ القول ورديئه، وقد تكون بين درجات البليغ، وكل ذلك وارد عند عبد القاهر، وقد أطال في ذلك في كتابه الدلائل في موضوع خاص بالموازنات بين الشعراء في

المعنى الواحد، يقول : ((وقد أردت أن أكتب جملة من الشعر الذي أنت ترى الشاعرين فيه قد قالا في معنى واحد، وهو ينقسم إلى قسمين: قسم أنت ترى أحد الشاعرين فيه قد أتى بالمعنى غفلاً ساذجاً، وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتعجب، وقسم أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وصور))[٤٤] .

ثم أورد على ذلك ما يزيد على خمسين موازنة، شملت ما يزيد على مائة بيت[٤٥] ، وهذا كما لا يخفى شغف واضح بإبراز المعاني وروائع النظم من خلال الموازنات، الذي هو أشحذ للذهن، وأقدر على استبصار دقيق المعاني والأساليب .

وهو دائماً يؤكد أثر الموازنة في بيان المقصود، من ذلك قوله:

((وإذا كان الشيء متعلقاً بغيره، ومقيساً على ما سواه، كان من خير ما يستعان به على تقريبه من الأفهام وتقريره في النفوس، أن يوضع له مثال يكشف عن وجهه ويؤنس به، ويكون زماماً عليه يمسكه على المتفهم له والطالب علمه))[٤٦] .

وهذا الأمر شائع في كتابه، وطبقه بوضوح على شواهده، ويصرح به في التحليل، يقول في حديثه عن التفصيل في التشبيه: ((والمقابلات التي تريك الفرق بين الجملة والتفصيل كثيرة، ومن اللطيف في ذلك أن تنظر إلى قوله:

يتابع لا يبتغي غيره بأبيض كالقبس الملتهب

ثم تقابل به قوله:

جمعت ردينياً كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان

فإنك ترى بينهما من التفاوت في الفضل ما تراه، مع أن المشبه به في الموضعين شيء واحد وهو شعلة النار، وماذا إلا من جهة أن الثاني قصد إلى تفصيل

لطيف ومر الأول على حكم الجمل))[٤٧] .

وهذه الميزة في تعامل عبد القاهر مع الشـاهد تـذكر فتشـكر، لأنـا تنشـط الذهن، وتشحذ الهمة، وتقنع بالمراد، وهي ميزة يشاد با عنده مـع مـا يصـاحبها كمـا رأينا من عشرات الشواهد وأحياناً مئات الأبيـات، يقـول الـدكتور أحمـد مطلـوب مشيراً إلى هذه المزية: ((واهتم بالأمثلة والإكثار منها والموازنـة بينـها وتحليلـها تحلـيلاً يعتمد على الذوق، والأسس النقدية والبلاغية التي التزم با))[٤٨] .

هـ - العرض الأدبي لجماليات الأسلوب.

قد نجد عند غير عبد القاهر عناية بالتحليل، لكـن الـذي نجـده عنـده شـيء آخر، إن التحليل عنده في حد ذاته إبداع؛ لأنه يملك أسـلوباً أدبيـاً أخـاذاً، يسـتطيع من خلاله نقل مراده والإقناع به.

ويمكننا رصد أهم خصائص ذلك العرض الأدبي المتميز فيما يأتي:

تفسير الجمال في ثوب الجمال

لعلنا نستطيع القول إن عبد القاهر بمنهجه اسـتطاع أن ينظـر للبلاغـة كمـا ينبغي أن تكون ، فأحال طرق كشف جمالياتا إلى قطـع أدبيـة رائعـة، وقـد دعـاه إلى ذلك ماحبي به من دقة في التأمل وحس مرهف في تلمس مواطن الجمال.

و((الذوق الرفيع، أهم ما يمتاز به عبد القـاهر، بـل إنـه الأداة الـتي سـخرها لإدراك ما يخفى من الأمور والكشف عن أسرار الأساليب البيانية))[٤٩] .

وهذه الروعة التي يجدها المطالع لكتابيـه، لا تخفـى بـل هـي جليـة في كـل تحليل فهي سمة من سمات أسلوبه، وما نقم الناس علـى المتـأخرين أصـحاب الحواشـي والتقريرات إلا بسبب أساليبهم الجافة العقيمة، التي لا تستروح منها نسيم الجمال.

إننا مع من يقول بضرورة أن يكـون تفسـير الإبـداع إبـداعاً مثلـه، وهـذا متحقق في منهج عبد القاهر الفذ .

فأنت عندما تقرأ تحليله تنسى أحياناً من جمـال العـرض روعـة الـنص الـذي يحلله وتلك من أهم السمات التي يجـب أن ينتبـه لهـا أربـاب البلاغـة في تدريسـهم وكتابتهم ؛ فما جار على بلاغتنا شيء مثل جور هـذا الانفصـام النكـد بـين التـنظير المقنن والتطبيق، فهذا شيء وذاك شيء، وما هكذا كان الأمـر عنـد مؤسـس البلاغـة عبد القاهر الجرجاني.

مخاطبة وجدان المتلقي.

مما امتاز به عبدالقاهر قدرته على مخاطبة وجـدان المتلقـي، فتـراه مـن خـلال ذلك التحليل الجميل يحاور ويسأل عـن تـأثير هـذا الأسـلوب أو ذاك علـى نفـس القارئ.

وهذا والذي قبله واضح في تحليله الذي يرد به على من يقـول إن المزيـة بـين الحقيقة والاستعارة، أن المساواة تعلم في الحقيقة من طريـق اللفـظ وفي الاسـتعارة مـن طريق المعنى، يقول:

((فأنت الآن إذا نظرت إلى قوله:

فأسبلت لؤلؤاً من نرجس وسـقت وردا وعضت علـى العنـاب بـالبرد

فرأيته قد أفادك أن (الدمع) كان لا يحـرم مـن شـبه اللؤلـؤ، و(العـين) مـن شبه النرجس شيئاً، فلا تحسبن أن سبب الحسـن الـذي تـراه فيـه ، والأريحيـة الـتي تجدها عنده ، أنه أفادك ذلك فحسب ، وذلـك أنـك تسـتطيع أن تجـيء بـه صـريحاً فتقول : فأسبلت دمعاً كأنه اللؤلؤ بعينه ، مـن عـين كأنهـا النـرجس حقيقـة ، ثم لا ترى من ذلك الحسن شيئاً ، ولكن اعلم أن سبب أن راقـك وأدخـل الأريحيـة عليـك

، أنه أفادك في إثبات شدة الشبه مزية ، وأوجدك فيه خاصة قد غرز في طبع الإنسان أن يرتاح لها ، ويجد في نفسه هزة عندها ، وهذا حكم نظائره كقول أبي نواس:

تبكي فتذري الدر عن نرجس وتلطم الورد بالعناب

وقول المتنبي :

بدت قمراً ، ومالت خوط بان وفاحت عنبراً ، ورنت غزالا))[٥٠]

وهكذا بهذا الأسلوب الجميل المحبب إلى النفس ، الذي يخاطب فيه الوجدان استطاع عبد القاهر أن يفسر الجمال في ثوب الجمال .

تربية الذوق عند المتلقي وتدريبه على استكشاف مواطن الجمال.

لقد اهتم عبدالقاهر من خلال تحليله للشواهد -زيادة على ماسبق- بتربية الذوق عند المتلقي ، وإعطائه الفرصة في إعمال ذهنه واستكناه مواضع الحسن وأسراره بعد أن يفتح له بابه ، كأنه يدربه عليه ، وذلك مثل قوله بعد ما أورد شواهد عديدة على حذف المبتدأ : ((فتأمل الآن هذه الأبيات كلها واستقرها واحداً واحداً ، وانظر إلى موقعها في نفسك ، وإلى ما تجده من اللطف والظرف ، إذا أنت مررت بموضع الحذف منها ، ثم فليت النفس عما تجد ، وألطفت النظر فيما تحس به ، ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر ، وأن تخرجه إلى لفظك ، وتوقعه في سمعك ، فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت ، وأن رب حذف هو قلادة الجيد ، وقاعدة التجويد ...))[٥١] .

أليس هذا تدريباً عملياً على تربية الذوق ،ومعرفة مواطن الجمال وأسراره ؟ لذا لا أظن أحداً يمعن النظر في كتابات عبد القاهر ثم لا تتنز نفسه وتتوق إلى معرفة مواطن الروعة في الأساليب .

الدعوة الدائمة إلى التأمل والغوص في جماليات الأسلوب.

كثيرا ما يدعو عبدالقاهر إلى إعمال الـذهن للوصـول إلى أسـرار الجمـال ، وهو بذا يفجر الهمة ، للانعتاق مـن التبعيـة ، ويحفـز القـارئ لمزيـد مـن الـتفكير والتأمل ، انظر إليه وهو يقول عن النظم : ((وما كان بـذا المحـل مـن الشـرف ، وفي هذه المنزلة من الفضل ... كان حرياً بأن تـوقظ لـه الهمـم ، وتوكـل بـه النفـوس ، وتحرك له الأفكار ، وتستخدم فيه الخواطر ، وكـان العاقـل جـديراً ألا يرضـى مـن نفسه بأن يجد فيه سبيلاً إلى مزية علم ، وفضـل اسـتبانة وتلخـيص حجـة ، وتحريـر دليل ، ثم يعرض عن ذلك صـفحاً ، ويطـوي دونـه كشـحاً ، وأن يربـأ بنفسـه ، وتدخل عليه الأنفة من أن يكون في سبيل المقلـد الـذي لا يبـت حكمـاً ، ولا يقتـل الشيء علماً ، ولا يجد ما يبرئ من الشبهة ، ويشـفي غليـل الشـاك ، وهـو يسـتطيع أن يرتفع عن هذه المنزلة ، ويباين من هو بذه الصفة ، فإن ذلك دليـل ضـعف الـرأي وقصر الهمة ممن يختاره ويعمل عليه))[52] .

ويشير عبد القاهر إلى نظرة الناس للشواهد ، وأن بعضهم قد رضي منها بالظـاهر القريب ، وليس هذا هو المسلك الذي ينبغي أن يكون عنده ، تأمله وهو يشـير إلى بعـض منهجه وطريقته في أسلوب تعريضي جميل ، عندما كان يتكلم عن منزلة التشبيه والتمثيـل والاستعارة ، ويذكر أنا أصول كبرى يرجع إليها جل محاسن الكلام ؛ لذا ((لا يقنع طالب التحقيق أن يقتصر فيها على أمثلة تذكر ، ونظائر تعد ، نحو أن يقال: الاستعارة مثل قولهم : (الفكرة مخ العمل ... ويؤتى بأمثلة إذا حقق النظر)[53]كالأشياء يجمعها الاسـم الأعـم وينفرد كل منها بخاصيةٍ ، مَنْ لم يقف عليها كان قصير الهمة في طلب الحقائق ، ضعيف المنـة في البحث عن الدقائق قليل التوق إلى معرفة اللطائف ، يرضى بالجمل والظواهر، ويرى ألا يطيل سفر الخاطر ، ولعمري إن ذلك أروح للنفس، وأقل للشغل، إلا أن مِنْ طلب الراحـة ما يعقب تعباً، ومن اختيار ماتقل به الكلفة مايفضي إلى أشد الكلفة)) [54]

وهكذا يتضح من خلال ما تقدم عناية عبد القـاهر بالشـاهد ، واهتمامـه بـه،

وخدمته له، بل هو قد يصرح بذلك في ثنايا كلامه ، فهاهو ذا في حديثه عن الفصاحة والبلاغة ، والبيان والبراعة ، ينافش سر الجمال فيها في صورة حوارية منها قوله : ((ولا يكفي أن تقولوا إنه خصوصية في كيفية النظم ، وطريقة مخصوصة في نسق الكلام ، بعضها على بعض ، حتى تصفوا تلك الخصوصية وتبينوها ، وتذكروا لها أمثلة ، وتقولوا مثل : ((كيت وكيت ...))[٥٥] .

وهذا يدل على أن أحكاماً عامة بلا شواهد لا قيمة لها ، لذا كانت عنايته بالشواهد ظاهرة ، حتى لكأنك تقرأ ديواناً رائعاً فيه إضاءات توحي لك بمواطن الجمال ، وليس هذا بعجيب فقد أورد في كتابيه ما يقارب الألف بيت كما علمنا سابقاً[٥٦] .

ويمكن أن نستخلص من كل ماسبق رؤية واضحة لمكانة الشاهد عند عبدالقاهر ، وكيفية تعامله معه، فالقضية ليست جمعاً للشواهد فضلا عن تكرارها، وليست هي النظرة العجلى لمواطن الجمال ، بل الأمر أبعد من ذلك ، فلا بد من إعمال الفكر وكد الذهن ، لاكتشاف مواطن الجمال ومكامنه، ومحاولة تفسير ذلك، وهذه دعوة كان الأولى أن تجد لها من خلف عبد القاهر مجيباً ، ولكن لم يكن ذلك .

- **منهج التعامل مع الشاهد البلاغي عند السكاكي والقزويني** .

لعل المطالع لما يكتب في البلاغة وتاريخها ، يكاد يجد إجماعاً على لوم هذه المدرسة ، مع الاحتفاظ بما أسهمت به في بعض الجوانب التي تخدم أطوار هذا الفن، ولعل سر هذا اللوم الظاهر هو مجيئ هذه المدرسة بعد الازدهار الرفيع على يد عبد القاهر ، فكان المنتظر أن يزداد الازدهار ، لكن الأسلوب الذي ارتضته هذه المدرسة ، أو ألزمتها به ظروف العصر أسهم في ذبول ذلك الازدهار .

ويتقدم على السكاكي والقزويني في هذا المنهج الفخر الرازي

(٦٠٦هـ)صاحب (كتاب نهاية الإيجاز ، في دراية الإعجـاز) ، الـذي كـان حلقـة الوصل بين هاتين المدرستين، لكـن الشـهرة كانـت للسـكاكي والقـزويني ، وهمـا اللذان سنقف معهما .

ويظهر من أول الأمر الفرق الواضح بين المدرسـتين ، فمدرسـة عبـد القـاهر قامت كما رأينا على الذوق وتحسس مواطن الجمـال وشـرح أسـراره ، بينمـا نجـد السكاكي ((قد سار في دراسة هذا الفن علـى منـهج علمـي يتخـذ مـن الفلسـفة والمنطق وعلم الكلام أساساً يبني عليه التعريفات والتقسيمات))(٥٧) .

إذاً نحن أمام مدرسة مختلفة في طريقتها عـن المدرسـة الأولى ، فـلا عجـب أن نجد التباين واضحاً بينهما ، وما يهمنا هنـا هـو شـأن الشـاهد ، وسنناقشـه حسـب العناصر السابقة .

١ - النوعية :

بالموازنة بين هاتين المدرستين في نوعية الشواهد، يتضـح لنـا أن عبـد القـاهر قد استشهد بالشعر وبالقرآن ، وكذلك فعـل السـكاكي ، لكنـه يختلـف عـن عبـد القاهر في أن الاستشهاد عنده [أي السكاكي] بـالقرآن كـان أكثـر مـن الشـعر ، والعكس عند عبد القاهر فالشعر أكثر كما سبقت الإشارة إليه .

وقد لحظ الدكتور أحمد مطلوب هـذه الظـاهرة عنـد السـكاكي ، وحـاول تفسيرها بقوله : ((وقد أكثر من الاستشهاد بـالقرآن الكـريم ، وهـذا أمـر طبيعـي لأنه يريد أن يظهر ما في آيات الكتاب من روعـة وإبـداع وبلاغـة ، وقـف العـرب أمامها مسحورين ، ويأتي الشعر بالدرجة الثانية ، ولكنـه لم يبتعـد كـثيراً عمـا ذكـره عبد القاهر الجرجاني في كتابيه (أسرارا البلاغـة ، ودلائـل الإعجـاز) ، والـرازي في (نهاية الإيجاز)))(٥٨) ، وتعليل الـدكتور أحمـد مطلـوب لكثـرة هـذا النـوع مـن الشواهد عنده ، كان الأولى به هو عبـد القـاهر ، الـذي لم تصـل عنـده الشـواهد

القرآنية ربع الشواهد الشعرية ، ولكن لعل السر في ذلك أن النص القرآني نص محكوم عليه من أول الأمر بالروعة والبلاغة ، فلا توجد فيه مساحة لموازنة جيد الأساليب برديئها ، كما رأينا ذلك عند عبد القاهر ، وهذه الموازنات والدراسات مهمة عند وضع الأسس ، كما أنها مجهدة مضنية كما سبق أن أشار عبد القاهر إلى ذلك ، وتتبع الشواهد في الدواوين وبطون الكتب ليس كالبحث عن آية ، وهدف السكاكي ليس كهدف عبد القاهر ، فعبد القاهر يريد أن يكشف أسرار الكلام ويقنع القارئ بذلك ويدربه ويربيه على استكناه مواطن الجمال، وهدف السكاكي حصر قواعد العلم وضبطها ، ولا شك أنه لن يجد كالشاهد القرآني معيناً له على ذلك، فليس في الكتاب متسع لموازنات ومناقشات بين جيد الشعر ورديئه .

وأما الخطيب القزويني في كتابه (الإيضاح) -وهو بلا شك أحسن حالاً من كتابه (التلخيص)- فقد كانت الشواهد القرآنية عنده هي الأظهر ثم تليها الشواهد الشعرية.

والملحوظ العام هنا أن نوعية الشواهد عندهم متقاربة لكنها تختلف في الكثرة والقلة ، فعبد القاهر أكثرهم وفرة في الشواهد الشعرية ، يليه الخطيب القزويني بفارق ليس بالكبير ، وأقلهم في ذلك السكاكي ، أما الشواهد القرآنية ، فأكثرهم الخطيب الذي أورد أكثر من (ستمائة) آية ، يليه السكاكي ثم عبد القاهر ، وبذا يعد الخطيب هو الأغزر في مجموع الشواهد عموماً .

ومن الظواهر التي تتعلق بهذا الموضوع ، أن عبد القاهر قلّ ما يورد الشاهد مجزوءاً ، بل الأغلب أن يذكره كاملاً ، وكذلك الأمر في الآيات ، بينما نجد السكاكي كثيراً ما يقتصر من الآيات على مواضع الاستشهاد إمعاناً في الاختصار ، أما الشعر فنجد عنده ما يقرب من عشرين شاهداً شعرياً مجزوءاً ، أو مشطوراً ، ولا شك أن هذا يؤثر في مدلول التركيب ، ويضعف من تأثيره ، وهذا

ما جعل الدكتور أحمد مطلوب يقول عنه : ((وكـان مـن أثـر اهتمامـه بالشـكل أن قلل الشواهد ، وبتر كثيراً من الأبيات الشـعرية ، فأصـبحت مسـخاً لا يفهـم منـها القارئ شيئاً ، إلا إذا كان حافظاً للشعر ، أو إذا رجـع إلى مظانـا يكمـل مـا قطـع السكاكي منها ...))[٥٩] .

وأظن أن ما أشار إليه الدكتور مطلوب من تقليل الشـواهد هـو أمـر واضـح حسب ما أوردنا من إحصاءات ، أمّا إنه بتر كثيراً مـن الأبيـات ، فـإن كـان يقصـد إيراده لها مجزوءة ، أو مشطورة فلعل في ذلك حيف عليـه ؛ لأن عشـرين شـاهداً مـن أكثر مائتين وخمسين بيتاً ، لا تشكل كمـاً كـبيراً كمـا وصـفه الـدكتور مطلـوب ، خصوصاً أن عبد القاهر أورد في الدلائل وحدها عشرة أبيـات مشـطورة ، وهـو بـلا شك أفضل حالاً من السكاكي ، أما إن كان الـدكتور مطلـوب يقصـد أن السـكاكي كان يبتر الشاهد عما قبله ومـا بعـده فهـذا صـحيح وواضـح ، وهـذه الظـاهرة استمرت عند الخطيب القزويني ، فها هو ذا يـورد مـا يقـرب مـن ثلاثـين شـاهداً مشطوراً ومجزوءاً من جملة شواهده التي زادت عن التسعمائة .

٢ - الكمية .

لو أجرينا موازنة بين المدرستين في حجم الشواهد لخرجنا بالنتائج الآتية :

عبد القاهر أورد ما يزيد علـى (تسـعمائة) شـاهد ، ومـا يقـارب مـائتين وخمسين آية في كتابيه الدلائل والأسرار ، وهو في الـدلائل أكثـر استشـهاداً بـالقرآن منه في الأسرار ، وأما الشعر فهو متقارب في الكتابين .

والسكاكي أورد ما يزيد على خمسمائة آية ، وما يزيد علـى مـائتين وخمسـين شاهداً شعرياً ، وهنا نلمح الفرق الواضح بينـهما ، فعبـد القـاهر مكثـر في الشـعر ، والسكاكي مكثر في القرآن ، وعلـى كـل حـال يتفـوق عبـد القـاهر في مجمـوع الشواهد الشعرية والقرآنية على مجموع شواهد السكاكي .

وهذا ولا شك مؤشر واضح لوفرة الشواهد عند عبد القاهر وقلتها عند السكاكي على الأقل بالنسبة لشواهد عبد القاهر .

لكن ما يذكر للسكاكي ، ولا بد أن يشاد به عنده هو هذه العناية بالشاهد القرآني ، فقد تفوق فيه على عبد القاهر بما يعادل النصف تقريباً .

وقد اتضح لي من خلال استعراض الشواهد في المفتاح أن بعض الصفحات فيه تكتظ بالآيات حتى إنها لتعد بالعشرات[٦٠] ، وقد تخلو عشرات الصفحات من الشاهد الشعري تماماً ، بينما تكون ثرية بالشاهد القرآني[٦١] .

ومع هذا كله لم تشفع هذه الكثرة من الشواهد القرآنية للسكاكي في رفع اللوم عنه فيما يخص جفاف الأسلوب وطغيان المنطق ؛ لأن الأمر ليس مرده إلى كثرة الشواهد فحسب ، بل إلى طريقة التعامل معها وهو الأهم ، وما يمكن أن يشفع له أنه يؤلف لعصره.

والخطيب القزويني ، يتابع السكاكي في شواهده ، ويزيد عليه وقد حاول تطعيم كتابه بتحليلات من كلام السابقين ، وشواهده الشعرية في (الإيضاح) أوفر بكثير من السكاكي فقد قاربت (الثمانمائة) شاهد ، والآيات زادت على (ستمائة) آية ، وبذا يعد الخطيب هو الأوفر في الشواهد بمجموعها، إذ هو يزيد على الجميع في القرآن ، ولا ينقص كثيرا عن عبد القاهر في الشعر .

٣- الجدة والاختيار .

ليس عيباً أن يأخذ اللاحق عن السابق ، بشرط أن يكون له رأي أو إضافة، وهذا ما اتضح عند عبد القاهر ، إضافة إلى ما أشار إليه هو في غير موطن من احتياجه إلى فلي الدواوين والقصائد لاستخراج ما يستجاد من الشعر .

أما عند السكاكي ومن بعده فلا نجد تنويهاً بمثل هذا ، مما يعطي مؤشراً لعدم

الاهتمام بهذا الأمر ، وإن كنا لا نعدم عنده دعوة إلى الذوق لكنه -كما يذكر الدكتور أحمد مطلوب- ، قد ((أهمل كل مقاييس الذوق حينما شرع يبحث في البلاغة ، بروح منطقية ثقيلة الظل على الدراسات الأدبية))(٦٢) .

ولكن ما نحب أن نشير إليه هنا ، أن الخطيب القزويني يشنع عليه دائماً بنقله عن عبد القاهر ، واعتماده عليه في الشواهد والتحليل ، ونجد كلمات كثيرة تذكر أنه لم يضف جديداً ، ولم يقدم مفيداً ، كما تقدم ذكره عند المراغي ، وكما تقول الدكتورة نجاح الظهار : ((فالناظر في كتاب (الدلائل) ، وكتاب (المفتاح) و (الإيضاح) ، لا بد أن يلاحظ ذلك التأثر الشديد بشواهد الشيخ)) (٦٣) ، وتقول أيضاً : ((وهكذا يتضح لنا اتكاء صاحب المفتاح وصاحب الإيضاح على شواهد الشيخ ، فمعظم شواهدهما - في علم المعاني - مأخوذة عن شواهد الشيخ في الدلائل ...)) (٦٤).

وهذا يذكر أيضا مع السكاكي، ونحن لا ننكر التأثر بشواهد الشيخ ، ولكن لابد من التخصيص ، كما فعلت الدكتورة نجاح، ولابد من التفريق بين السكاكي والخطيب؛لأننا وجدنا بعد موازنة شواهدهما بشواهد عبد القاهر وخصوصاً الشعرية أن السكاكي أخذ من عبد القاهر ما يقارب ثمانين شاهداً فقط ، بينما هو أضاف ما يزيد على مائة وسبعين شاهداً شعرياً، وهو بهذا أكثر تميزا من الخطيب في الاختيار، لذا تنوعت شواهده، يقول الدكتور/محمد بركات أبوعلي:((ينقل السكاكي من عصور مختلفة: من الجاهلية، والإسلام، والأموي، والعباسي،حتى عصره(٦٢٦هـ)، أي أنه يجمع في شواهده بين القديم والحديث – آنذاك-، وهذا يبيح لنا النظر الدائم في شواهد البلاغة، ولكن الملاحظ على أمثلة السكاكي، الفصاحة ، والسلامة، والعفة)) (٦٥).

وأما الخطيب فعلى كثرة شواهده ، فقد وافق عبد القاهر فيما يقارب (الثلاثمائة) شاهد، وزاد مثلها أو أكثر، ولعل مايفسر هذا التوافق من جهة

والتخالف من جهة أخرى، هو أن ماأضافه الخطيب لم يكن في الموضوعات التي توسع فيها عبدالقاهر،ومن ذلك البديع والسرقات، فقد أورد لها مايزيد على (ثلاثمائة) شاهد،وأما الموضوعات التي اشترك معه فيها فالتأثر واضح جلي، وذلك في المعاني والبيان، وإن كان في المعاني أظهر.

ومما لفت نظري أنه في موضوع التجنيس –وهو من البديع- لم يتابع عبد القاهر كعادته، رغم أن عبدالقاهر تعرض لهذا الموضوع، وأورد له أربعة وعشرين شاهدا[٦٦]، بينما الخطيب ذكرله ثمانية عشر شاهدا [٦٧]، لم يوافق عبدالقاهر إلا في أربعة منها، ويتابع السكاكي في شاهدين من شواهده الأربعة[٦٨]، التي لم تلتق مع شواهد عبدالقاهر في شيء.

ولعلنا إن أردنا صورة للأخذ الواضح ، والموافقة البينية ، فنجد ذلك عند الخطيب مع السكاكي حيث أخذ عنه جل شواهده ولم يترك منها إلا ما يقارب (ثمانين) شاهداً فقط .

ومن نافلة القول أن نقول إن الثمانين شاهداً التي وافق فيها السكاكي عبدَ القاهر جلها قد أخذه الخطيب .

ولنتبين صحة ماذكر عن متابعة عبدالقاهر فيما توسع في بحثه، سننظر في موضوع (الحذف) على سبيل المثال ، ونوازن فيه بين ما تكرر مما هو جديد ، ويتضح من الموازنة بين عبد القاهر وكل من السكاكي والقزويني أن عبد القاهر أورد (ثلاثة وثلاثين) شاهداً شعرياً في موضوع الحذف ، وشاهدين (للحذف) في مواضع أخرى ، بينما أورد السكاكي (عشرة) شواهد فقط ، تابع عبدالقاهر في خمسة منها ، وهنا تظهر التبعية في نوعية الشاهد والتكرار فيه ، بينما نجد القزويني يورد أربعة وعشرين شاهداً في هذا الموضوع ، يتابع السكاكي في شواهده العشرة إلا واحداً[٦٩] ، ويتابع عبد القاهر في ثمانية عشر شاهداً ، ويكفي أن نعلم

أن شواهده الثلاثة عشر في حذف المفعول به كلـها منقولـة مـن عبـد القـاهر ، مـع التوافق في الترتيب إلى حد كبير ، مع نقل التحليلات لما حللـه عبـد القـاهر ، وإهمـال ما أغفله[٧٠] .

وبذا نعلم أن السكاكي كان متابعا لعبـد القـاهر في نصـف شـواهده ، وأن القزويني كان متابعاً لعبد القاهر والسكاكي في اثـنين وعشـرين شـاهداً ، ولم يبـق لـه من اختياره إلا واحد في حذف المسند[٧١] ، ولم يعلـق عليهـا إلا بتقـدير المحـذوف في بعضها .

والذي يظهر أن متابعة القزويني للسـكاكي في الشـواهد كانـت أبـرز مـن متابعته لعبدالقاهر ، وأما في التحليل فهو أميل إلى عبـد القـاهر ، والـذي يظهـر مـن هذا أن اختيارات السكاكي كانت أبرز وأفضل من اختيارات القـزويني ، لأنـا كلـها في صميم الموضوع ، وتحمل سمات جمال واضحة لكنـه لم يحللـها كعادتـه ، كمـا أنـه أتى بخمسة شواهد في مقابل أنه أخذ خمسـة ، بينمـا الخطيـب القـزويني أورد أربعـة وعشرين شاهداً لم يكن فيهـا مـن اختيـاره إلا واحـد ، ولم تكـن كلـها في صـميم الموضوع ، كما أنا أقل جمالاً من شواهد صاحبيه .

وهذا يتطابق مع قوله في مقدمة الإيضـاح : ((وعمـدت إلى مـا خـلا عنـه المختصر ، مما تضمنه (مفتاح العلوم) ، وإلى مـا خـلا عنـه (المفتـاح) مـن كـلام الشيخ الإمام عبـد القـاهر الجرجـاني ، رحمـه الله في كتابيـه (دلائـل الإعجـاز) ، (وأسرار البلاغة) ، وإلى ما تيسر النظر فيه من كـلام غيرهمـا ، فاسـتخرجت زبـدة ذلك كله ، وهذبتها ورتبتها ، حتى استقر كـل شـيء منـها في محلـه ، وأضـفت إلى ذلك ما أدى إليه فكري ولم أجده لغيري))[٧٢] .

يقول الدكتور أحمد مطلوب : ((وهذا اعتراف صـريح منـه ، بأنـه اسـتفاد من عبد القاهر ونقل آراءه))[٧٣] .

ويبدو أن هذا الأمر من الوضوح بحيث لا يحتـاج إلى تـدليل ، وواضـح مـن

عبارة الخطيب أن مراده الجمع بين هذه الكتب جميعاً وتطعيم بعضها ببعض ، ولا شك أنه عند ذلك احتاج إلى التدخل في ترجيح رأي أو رده ، وهذا أيضاً واضح في كتابه .

أما القرآن فقد استشهد عبد القاهر في موضع (الحذف) باثنتي عشرة آية، والسكاكي بست عشرة آية ، والقزويني بأكثر من ثلاثين آية .

تابع السكاكي عبد القاهر في موضعين فقط(٧٤) ، وتابع القزويني عبد القاهر في ستة مواضع(٧٥) ، وتابع السكاكي في عشرة مواضع(٧٦) ، وانفرد بالباقي.

وبذا يتضح أن الخطيب القزويني قد تابع الشيخين في ستة عشر موضعاً أي في نصف استشهاداته تقريباً ، والباقي من اختياره ، بينما السكاكي لم يتابع عبد القاهر إلا في موضعين ، وهذا أيضاً يدل على أن السكاكي كان أقل اتباعاً ، وأكثر تميزاً ، لأن له اختيارات في الشعر والآيات ، كما له فضل التنظيم والتنسيق لعلوم البلاغة ، وأما الخطيب فله فضل الجمع بينهما .

ونستطيع أن نقول باطمئنان، إن الخطيب خصوصا لاتنقصه كثرة الشواهد، إذ هو يتفوق على عبدالقاهر في المجموع العام، وهذا يؤكد أن المشكلة ليست في قلة الشواهد، ولاهي مقصورة على الشاهد النموذج، الذي تناقله الدارسون عن بعضهم ، إن ذلك كله ليس هو محور المشكلة، لأن عبدالقاهر ذاته نقل عن السابقين، لكن المشكلة هي في منهجية التعامل مع ذلك الشاهد.

وشواهد عبدالقاهر التي ساقها السكاكي والخطيب ومن حذا حذوهما، لو أحسن التعامل معها، وحُللت تحليلا ذوقيا مقنعا لرأينا أمرا آخر، ولا ما كان هناك ذم لذلك الشاهد الذي تناقلته الكتب، إن المذموم هو أن يعاد الشاهد ويكرر دون

إضافة، بل أحيانا يجرد من تحليله الجميل على يد أحـد المبـدعين الأولـين، لأن طبيعـة العصر تتطلب ذلك، ولأن الطابع التعليمي كـان يتطلـب ذلـك مـن الكتـاب ذوي هذا الاتجاه ، وعلى رأسهم صاحب المفتاح، الذي كان ينـهج هـذا النـهج((ليقـرر في أذهـان المـتلقين مايريـد، وهـذه سمـة المعلم،ومـن مقاصـد السـكاكي في بلاغته(التعليم))) [٧٧].

٤ - التوثيق والنسبة .

إن مما ألجأ إليه حب الاختصار والإيجاز والاهتمـام بالقاعـدة عنـد السـكاكي خصوصاً، عدم العناية بنسبة الشاهد .

وقد تتبعت شواهده في المفتـاح (الجـزء المخصـص للبلاغـة)، فوجدتـه قـد نسب ما يقارب ثلاثين شاهداً فقط ، من أصـل مـائتين وسـتين شـاهداً وهـذا دليـل واضح على عدم الاهتمام بالنسبة والتوثيق، ويبدو أن كل ذلـك كـان بسـبب حـب الإيجاز والاختصار، والاهتمام بما هو أهم عنده.

ومن أعجب ما رأيت عنده ، أنه أورد في الكنايـة شـاهدين قـرآنيين ، علـى غير عادته من الإقلال من الشواهد القرآنيـة، بينمـا أورد لهـا ثلاثـة عشـر شـاهداً شعرياً نسب سبعة منها وأهمل الباقي[٧٨].

وبموازنة ذلك بما عنـد عبـد القـاهر في موضـوع الكنايـة نجـد التقـارب الواضح، والتأثر الجلي في ذلك ، فقد أورد عبد القاهر للكنايـة ، ثمانيـة عشـر شـاهداً لم يخرج عنها السكاكي إلا في شاهد واحد هو قول الشاعر :

رمزت إليّ مخافةً من بعلها من غير أن تبدي هناك كلامها

وتابع عبد القاهر في النسبة والإهمال [٧٩] في كل مـا ذكـر ، فقـد وافقـه في اثـني عشر شاهداً ، أهمل عبد القاهر خمسـة ، وكـذلك فعـل السـكاكي ، ونسـب عبـد القاهر سبعة وكذلك فعل السكاكي[٨٠] .

وهذا قد يفسر كثرة إهماله لتوثيق الشاهد أو نسبته ، فهو إذا وجد عبد القاهر قد نسب الشاهد فعل فعله كما هو حال موضوع الكناية ، وأحياناً يدعوه الاختصار إلى إهمال ما نسبه عبدالقاهر أيضاً ، أما ما يختاره هو فغالباً ما يكون غفلاً دون نسبة .

وأما الخطيب القزويني فقد أورد للكناية اثنين وعشرين شاهداً شعرياً ، تابع عبد القاهر في أحد عشر منها ، وهي ذاتها التي أخذها السكاكي ، ووافقه في النسبة والإهمال دون مخالفة ، ووافق السكاكي في شاهدين تابعه في عدم نسبتهما ، وأما ما اختاره وهي تسعة شواهد ، فقد نسب منها خمسة وأهمل أربعة(٨١) .

وبالعموم فإن القزويني أحسن حالاً في التوثيق من السكاكي ، وقد يعود هذا إلى أن شواهده أكثر ، وبالتالي تظهر النسبة فيها ما لا تظهر عند السكاكي .

وباستعراض شواهد الخطيب القزويني في الإيضاح نجدها تقرب من التسعمائة شاهد ، ويدخل في ذلك شواهد السرقات الشعرية التي شكلت ما يقارب المائة شاهد جلها منسوبة .

وبذا يظهر لنا أن مجموع ما نسبه الخطيب في شواهده يزيد على الأربعمائة قليلاً ، أي أن نصف شواهده منسوبة تقريباً ، وهذا يعني أنه يعتني بالنسبة والتوثيق ، والأصل أنه يذكر الشاعر ، وأحياناً يكتفي برد الشاهد إلى مصدره ، فيقول مثلاً: هو في الحماسة ، أو كبيت الحماسي ، أو قال الحماسي ، أو كقول الحماسي(٨٢) .

وفي موضوع الحذف الذي سبق ذكره نجد عبد القاهر قد أورد ثلاثة وثلاثين شاهداً شعرياً نسب منها واحداً وعشرين إلى قائليها ، وأسند ثلاثة إلى مراجعها(٨٣) .

بينما السكاكي ، لم ينسب شاهداً واحداً إلى قائله من كل ما ذكره في

حذف المسند والمسند إليه وحذف المفعول[٨٤] .

أما القزويني ، فقد أورد أربعة وعشرين شاهداً نسب منها أربعة عشر شاهداً جلها وافق فيها عبد القاهر .

وبهذا نعلم أنه لا تكاد توازن عناية الخطيب بالنسبة والتوثيق بعناية السكاكي في ذلك ، فالخطيب ينسب كثيراً ، والسكاكي يهمل كثيراً .

ونستطيع القول حسب ما سبق من إحصاءات إن نسبة المهمل عند الخطيب تقرب من نسبة المنسوب عند السكاكي إلى عدد شواهد كل منها ، وهذه العناية بالنسبة التي نلمسها عند الخطيب واضحة عند عبد القاهر كما رأينا من قبل؛ وبهذا يمكن القول بأن الخطيب قد تأثر بعبد القاهر في ذلك .

٥ - التحليل والبيان .

كان منهج عبد القاهر واضحاً في دراسته للشواهد ، وهو وإن لم يطبق ذلك على شواهده كلها إلا أن ملامح المنهج ظاهرة عنده ، لكن عند السكاكي والقزويني نجد أن لهما وجهة أخرى ولا يعيبهما ذلك من حيث المبدأ ، لأن لكل هدفه الذي يسعى إليه .

والسكاكي يجلي ذلك في المقدمة بقوله : ((وما ضمنت جميع ذلك كتابي هذا إلا بعدما ميزت البعض عن البعض ، التمييز المناسب ، ولخصت الكلام على حسب مقتضى المقام))[٨٥]، إذاً هدفه جمع كلام السابقين ، وتمييزه أو اختيار المناسب منه ، وتلخيص ذلك .

وهذا كله واضح في الكتاب ، وأما القزويني فلا يبعد كثيراً عن هذا فهو يذكر أنه جمع ما عند عبد القاهر في الدلائل والأسرار مما خلا منه المفتاح ثم هذب ذلك ، يقول : ((فاستخرجت زبدة ذلك كله ، وهذبتها ورتبتها ، حتى استقر كل شيء منها في محله ، وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكري ، ولم أجده

لغيري))[٨٦] .

والهدف كما نرى متقارب يجتمع في التهذيب والترتيب والاختيار والاختصار ، وإن كان في الإيضاح فضل زيادة ، مما نقله من عبد القاهر والزمخشري وهذا واضح ظاهر فيه .

ويمكننا في ضوء ذلك أن نتلمس السمات العامة لمنهج هذه المدرسة في تحليل الشاهد البلاغي ، وذلك حسب ما يأتي :

أ - التمهيد العام .

يقدم السكاكي في الغالب مقدمة يبين فيها الأغراض والمقتضيات ، ويضمنها منافشات عقلية وجدلية ، وأمثلة مصنوعة ، ثم يورد ما يشاء من الشواهد دعماً لما سبق ذكره ، يقول في هذا : ((ومهدت لكل من ذلك أصولاً لائقة ، وأوردت حججاً مناسبة))[٨٧].

ولعل هذا القول بين في التصريح بمراده من ذلك التمهيد ، وأين هذا من تمهيدات عبد القاهر التي كان يشوق فيها القارئ ، ويعلي من همته ، ويهيئه لتلقي ألوان الجمال القادمة .

ولم يستطع الخطيب أن يخرج عن دائرة السكاكي في هذا ، فنجده يكرر مقدمات السكاكي التي يحدد فيها مسبقاً الفوائد والأغراض ، كأن يذكر أن لحذف المسند أسباباً ومقتضيات ثم يدلل عليها بشواهد[٨٨]،وهذا الأسلوب هو الدارج عند هذه المدرسة؛ بأن تُقعد القاعدة ثم يُستشهد لها بالشاهد .

ب - دعم الشواهد بلواحق أو سوابق .

مما لحظناه عند عبد القاهر دعمه للشاهد بسوابق أو لواحق ، وينص أحياناً على أن المراد هو البيت الأخير ، ويذكر أحياناً أنه لا بد من إيراد مجموعة أبيات

من القصيدة حتى يتضح المراد ، لكن السكاكي ، بما عمد إليه من التلخيص حذف كل ذلك ، حتى بقيت الشواهد مفردة في الغالب ، وربما مشطورة أو مجزوءة ، فلو نظرنا إلى قول الشاعر :

أتتني الشمس زائرة ولم تك تبرح

لوجدنا أنه أورد هذا البيت وحده غير منسوب ، بينما عبد القاهر أورد قبله بيتين ، وبعده بيتاً ونسبه إلى قائله(٩٠) .

ولا يعني هذا أننا لا نجد عند السكاكي شيئاً مما عند عبد القاهر من دعم للشاهد ، كلا، بل نجده أحياناً يورد أبياتاً ثلاثة وأربعة وخمسة(٩١) ، لكن الغالب على شواهده هو ما كان فيه موطن الاستشهاد فحسب .

أما الخطيب فهو ثري في استشهاداته الشعرية والقرآنية ، لذا نجده يختلف اختلافاً بيناً عن السكاكي ، فهو في الغالب يورد الشواهد كاملة ، بل كثيراً ما يرفد الشاهد بما يسبقه أو يلحقه ، فقد يذكر معه بيتين(٩٢) أو ثلاثة(٩٣) أو أربعة(٩٤) أو خمسة(٩٥) ، لكن كل هذا لا يجعله يبلغ ما بلغه عبد القاهر ، لأن مرد الأمر إلى التحليل والتعليل وحسن العرض ، وتكديس الشواهد دون بيان وتوضيح ليس هو المراد الذي يبتغى .

ج - التلخيص والاختصار

وهذا أمر طُبع به كتاب (المفتاح) كله ، وقد صرح به كما رأينا ، وامتد ذلك إلى الشواهد ، فحذف كثيراً مما كان عند عبد القاهر والسابقين ، بل أحياناً يذكر الشاهد مشطوراً أو مجزوءاً يقول الدكتور أحمد مطلوب عن هذا الأمر : ((وكان من أثر اهتمامه بالشكل أن قلل الشواهد ، وبتر كثيراً من الأبيات الشعرية ، فأصبحت مسخاً لا يفهم منها القارئ شيئاً إلا إذا كان حافظاً للشعر ، أو إذا رجع إلى مظانها يكمل ما قطع السكاكي منها))(٩٦) .

ومن مظاهر هذا الإيجاز عنده ، الاقتصار في الشاهد على تحديد موطن الاستشهاد وتقديره إن لزم الأمر ، وربما لا يذكر شيئاً من ذلك أحياناً .

تأمله وهو يتكلم عن الحذف حيث يورد الشاهد كقول الشاعر :

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

قال : ((كيف تجد الحكم إذا لم يقل : أنا عليل))[٩٧] ، ثم أورد الشاهد الثاني والثالث ، ثم انتقل إلى إثبات المسند إليه .

هذا نموذج مكرر عند السكاكي ، اختصار يذهب روح البلاغة ، ولا يبين السر الذي يجب بيانه وجاء الخطيب القزويني وسرد أغراض حذف المسند إليه واحداً تلو الآخر ، ثم أتبعها بالشواهد ومنها بيت السكاكي السابق ولم يذكر لها حتى التقدير الذي ذكره السكاكي[٩٨] .

هذا بعض حاله ، لكنه في الجملة أفضل حالاً من السكاكي ، إذ لم يلجئه الإيجاز إلى الاستغناء عن الشواهد ، بل على العكس فقد أورد قرابة التسعمائة شاهد في كتابه ، وهذا أمر يحمد له ، وله أنه أتبعها بتحليلات جيدة لكان في القمة، لكن غالب هذه الشواهد كان للذكر فحسب دون تعليق.

وأين هذا من تحليلات عبد القاهر لبعض شواهد الحذف ، تأمله وهو يقول عن أبيات ثلاثة منها :

غضبى ولا والله يا أهلها لا أطعم البارد أو ترضى

قال : ((يقوله في جارية كان يحبها ، وسُعي به إلى أهلها فمنعوها منه ، والمقصود ، قوله : غضبى ، وذلك أن التقدير (هي غضبى ، أو غضبى هي) لا محالة ، ألا ترى أنك ترى النفس كيف تتفادى من إظهار هذا المحذوف ، وكيف تأنس إلى إضماره ، وترى الملاحة كيف تذهب إن أنت رمت التكلم به))[٩٩] .

وعبد القاهر - كما نرى هنا - لم يعلـل سـر جمـال الحـذف ، لكنـه علـى الأقل أشعرك به ودلك عليه ، وفي رأيي أن هذا أحسن من كـثير مـن التعليـل الجـاف الذي يحجر المعنى ويحد من انطلاقـه ، إننـا ولا شـك محتـاجون إلى هـذا التوسـع في التحليل ، لا الإيجاز المخل الذي استعصى معه الفهم ، وقل بسببه تدبر الجمال .

د - عدم العناية بالموازنات .

وهذا أثر من آثار الجنوح نحو التلخيص والاختصـار ، إذ لا يبقـى مجـال لمثـل هذا ، فقارئ (المفتاح) ، أو (الإيضاح) لا يظفـر بتلـك الموازنـات الرائقـة الـتي تحفل بها مباحث الأسرار والدلائل ، ولو حصل ووجدت شـيئاً منـها عنـد السـكاكي، فهي مبتورة ، موجزة ، انظر إلى تحليل كل واحد مـن الثلاثـة لـبعض الشـواهد الـتي وجدت عندهم جميعاً يقول السكاكي: ((وتلزم المستعار له ما يلـزم المسـتعار منـه مـن العجب أو غير العجب مما لا يليق إلا بالمستعار منه ،كما فعل من قال :

قامت تظللني ومن شمس تظللني من الشمس
أتتني الشمس زائرة ولم تك تبرح الفلـكا

أوما ترى هؤلاء فيما فعلـوا كيـف نبـذوا أمـر التشـبيه وراء ظهـورهم ، وكيف نسوا حديث الاستعارة ، كأن لم تخطر منهم علـى بـال ، ولا رأوهـا ولا طيـف خيال ، وإذا كانوا مع التشـبيه والاعتـراف بالأصـل يسـوغون ألا يبنـوا إلا علـى الفرع ويقولون :

هي الشـمس فعز الفؤاد عزاء جميلا

فهم إلى تسويغ ذلك مع جحد الأصل في الاستعارة أقرب))(١٠٠) .

فتأمل كيف قدم للأبيات بتلك المقدمـة الـتي جلـها مصـطلحات تحتـاج إلى تفكير حتى تعلم المراد ، وتأمل كيف وسط التحليل ، ثم ختمـه بكـلام مـوجز ، وكـل ذلك لم يظهر الجمال ولا السر ولا الفارق المبني علـى إظهـار أسـرار الجمـال هنـا أو

هناك ، وأين هذا من تلك السطور المنيرة التي برع فيها عبد القاهر في بيان الفرق بين الاستعارة والتشبيه والحقيقة . فقد تحدث عن ذلك ، وعن الشواهد ذاتها في صفحات عدة، مليئة بالروائع ، وبيان الأسرار(١٠١) .

ولا شك أن قلة الموازنات التي تلحظ عند السكاكي والخطيب لهي مما أذهب كثيراً من رونق هذا الفن ، وأضفى عليه شيئاً من الجمود والجفاف .

وكنا ننتظر من الخطيب القزويني مع شواهده الشعرية الكثيرة ، أن يكون أحسن حالاً في هذا الجانب ، لكن ذلك لم يكن ، فرغم هذا الكم الكبير من الاستشهاد إلا أنه لم يعتن بهذا الأمر العناية المتوقعة ، بل إننا نجده لمّا ناقش التشبيه والشواهد السابقة التي أوردها السكاكي ، لم يذكر معها شيئاً مما عند السكاكي وعبد القاهر فيما يخص الموازنة(١٠٢) ، وهذا نقص كبير في الكتاب بلا شك ، كان يمكن أن يكون مزية له لو وجد

هـ - قلة التحليل الأدبي وجفاف الأسلوب .

لا يظهر لقارئ كتاب المفتاح ذلك الوجه المشرق في التحليل الأدبي المبسوط الذي يجده عند عبد القاهر إنما يجد كلمات معدودة ، تحيط الشاهد ، تسبقه أو تلحقه ، وأحياناً تكون إلى الإلغاز أقرب منها إلى الإفصاح ، ثم إن سمة الجفاف والمنطق أظهر فيها -إن وجدت- من رونق الأسلوب الأدبي ، ولا عجب في هذا إذا تذكرنا قوله السابق : ((وأوردت حججاً مناسبة))(١٠٣) .

يقول الدكتور أحمد مطلوب بعدما استشعر ذلك من خلال دراسته لبلاغة السكاكي: ((ولم يقف عند الشواهد يحللها، ويبين ما فيها من جمال وإبداع، وما فيها من بلاغة دعته إلى الاستشهاد بها))(١٠٤) .

ففي موضوع الحذف مثلاً ، نجده قد عرض تسعة شواهد شعرية ، سواء

في حذف المسند أم المسند إليه أم المفعول ، وذكـر سـت عشـرة آيـة ، وكـل هـذه الشواهد لم يحلل منها شيئاً يمكن ذكره ، وإنما اقتصـر فيهـا علـى تقـدير المحـذوف أو ترك ذلك بالكلية ، وإن كان قد ظهر لي أنه في جانـب الشـاهد القـرآني أحسـن منـه حالاً في جانب الشعر ، فها هو ذا يتكلم عـن تعريـف المسـند إليـه ، والحالـة الـتي تقضي وصف المعرف فيقـول : ((وتفـسر قـراءة ابـن عبـاس رضـي الله عنـهما : ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهـين ، مَـنْ فرعـونُ ... [الـدخان ٣٠ - ٣١] على لفظ مَنْ الاستفهامي ، ورفع فرعون ، بأنه لمـا وصـف الله تعـالى العـذاب بكونـه مهيناً ، بياناً لشدته وفظاعـة أمـره ، وأراد أن يصـور كنهـه ، قـال : مَـنْ فرعون ؟ هل تعرفون من هو في فرط عتوه وشـدة شـكيمة في تفرعنـه ؟ مـا ظـنكم بعذاب يكون المعذب به مثله ؟ ثم عرف حاله في ذلك قائلاً : إنـه كـان عاليـاً مـن المسرفين))(١٠٥).

وهذا التحليل بلا شك رائع ، كشف حجـب الجمـال عـن هـذه القـراءة ، والوصف الذي ورد، ولو أن السكاكي اتبع هذا المنهج في مباحثـه لكـان كتابـه هـذا روضة غناء مع ما فيه من التنظيم والتبويب .

وهذا التحليل بلا شك ينبئ عن قدرة واضـحة علـى التحليـل ، ويـبرهن أن السكاكي ومثله الخطيب لا ينقصـهما الـذوق كمـا يوصـفان مـن بعـض مـؤرخي البلاغة ، لكن الطريقة التي اتبعاها جنحت بهما عن ذلك .

ويبدو أن هذه اللمحات ليست بالكثيرة في المفتـاح ، لـذا نجـده بعـد هـذا التحليل الجميل مباشرة ، يبين إعجابه بمثل هـذه النـادرة فيقـول : ((وسـيطلع مـن كتابنا هذا ، مَنْ خدمه حق خدمتـه علـى ثمـرات محتجبـة في أكمـام))(١٠٦) ، وهـو يشعرنا بهذا بأن الوصول إلى تلك الثمرات محتـاج إلى جهـد ومشـقة وصـبر ، لتظفـر بما بين مصطلحات المنطق ، ووعورة القواعد والفلسفة .

وأي مطلع على (المفتاح) (والإيضاح) ليلمح دون أدنى عناء ، أن الإيضاح أحسن حالاً من حيث التحليلات الأدبية ، وأقل تعسفاً في استخدام المنطق ، وذلك من أثر ما رسمه الخطيب لنفسه من إدخال تحليلات عبد القاهر والزمخشري .

وكان لتلك التحليلات الفضل الكبير في وضع القبول لكتابه ، ومن خلال تتبع بعض ما نقله القزويني من أقوال اتضح لي أنه يكرر أسماء ثلاثة هي : السكاكي ويأخذ عنه القواعد والتقسيمات ، وعبد القاهر ويأخذ عنه بعض التنظير وتحليل الشواهد الشعرية ، والزمخشري ويأخذ عنه بكثرة تحليل الآيات ، وقد يمدحه ويثني عليه وقد يعترض عليه[١٠٧] .

والحق أن الإيضاح أيسر بكثير من المفتاح وأسهل عبارة منه ، يقول محققه معللاً شهرة الإيضاح وقبوله : ((إذ كان كتابه حسن العبارة واضح الدلالة ، دقيق الإشارة ، حيث عمد إلى كل ما في المفتاح من تعقيد فحاول أن يخلي كتابه منه إلا قليلاً))[١٠٨] .

وبذا يكون كتاب القزويني هو أكثر الكتب قبولاً بعد كتابي عبد القاهر ، وهو أيسر منها لتنظيمه وتبويبه ، وهما أغنى منه وأكثر ثراءً .

خاتـمـة :

لقد قامت هذه الدراسة بالموازنة بين هاتين المدرسـتين في طريقـة التعامـل مـع الشاهد وذلك من خلال مايأتي:

١- النوعية . ٢- الكمية . ٣- الجدة والاختيار .

٤- التوثيق والنسبة . ٥- التحليل والدراسة .

وقد تبين مايأتي:

١ - من حيث النوعية :

الغالب على شواهد عبد القاهر هو الشعر ، ثم القرآن ، أما السكاكي فالغالـب القرآن ثم الشعر ، وأما الخطيب القزويني فهو أقربهما إلى التوازن ، وإن زاد الشـعر عنـده على القرآن .

٢ - من حيث الكمية :

زادت عبد القاهر شواهده الشعرية على (٩٠٠) شاهد ، والقرآنية على (٢٥) آية ، والذي قاربه في ذلك هو الخطيب القزويني حيث كانت شواهده الشعرية تزيد علـى (٧٥٠) شاهداً ، والقرآنية على (٦٠٠) آية ، والسكاكي تزيد شواهده الشعرية علـى (٢٥٠) شاهداً ، والقرآنية على (٥٠٠) آية .

٣ - من حيث الجدة والاختيار : -

عبد القاهر هو الأظهر في هذا المـال ، يليـه السـكاكي ، ثم الخطيـب ولعـل أبرز صور النمطية والأخذ كانت مـن الخطيـب عـن السـكاكي حيـث نقـل جـل شواهده ، ولاشك أن تلك النمطيـة المـذكورة قـد تجلـت بوضـوح عنـد الشـراح والمقررين ومن تبعهم .

٤ - من حيث التوثيق والنسبة : -

اعتنى عبد القاهر بوضوح بنسبة الشـواهد وتوثيقهـا ، حيـث نسـب جـل شواهده ، بينما أهمل السكاكي جل شواهده ، وأما الخطيب فقـد توسـط فقـد كـان المنسوب يقارب النصف ، والملحوظ أنهما يتابعان عبـد القـاهر فيمـا نسـب أو أهمـل غالباً .

٥ - من حيث التحليل والدراسة : -

اختلف منهج المدرستين اختلافاً بينا في هذا المجال ، وهو المحك -في نظري- لقضية الشاهد ، فعبد القاهر يهتم بالتوطئة للشاهد ، وتدعيمه بالسـوابق واللواحـق ، وعقـد الموازنات ، والعرض الأدبي المميز في التحليل لإبراز مكامن الجمال في الشاهد، الذي مـن أظهر خصائصه:

-تفسير الجمال في ثوب الجمال.

-مخاطبة وجدان المتلقي.

_تربية الذوق عند المتلقي وتدريبه على ذلك.

-الدعوة الدائمة للتأمل والتفكير والتعمق في معرفة أسرار النظم.

أما السكاكي والقزويني فالغالب عندهما هو التمهيد العام للموضـوع بأكملـه ، والاختصار ، وجفاف الأسلوب ، وقلة التحليل الأدبي ، وعدم العناية بالموازنات ، وعـدم رفد الشاهد بلاحق أو سوابق توضحه .

وبذ ندرك أن الأمر كله يعود إلى منهج التعامـل مـع الشـاهد ، وخدمتـه ، ولهذا فالمعول عليه هو خدمة الشاهد ، لـذا فلـيس العيـب- في نظـري - في تكـرار الشاهد وإن كان الاختيار هو الأفضل ، وإنما العيب في تركـه غفـلاً ، أو اجتـرار مـا قيل حوله ، أما لو قرئ من جديد وحلل وفسر لتغير الأمـر ، وهـذا مـا فعلـه عبـد القاهر ، فبعض شواهده مسبوق إليها وما ضره ذلك .

وما ضر كتاب القزويني لو قُرئت شـواهده مـن جديـد ، وأدخلـت عليهـا بعض التحليلات الرائعة وحذف كل ما يتعلق بالأغراض والتقسيمات !.

كما بان أيضا أن رموز مدرسة المنطق لم ينحوا ذلـك النحـو في التعامـل مـع الشاهد لنقص في الذوق، أو لعدم قدرة علـى التحليـل، بـل دفعهـم لـذلك مجـاراة العصر، وطبيعة المنهج التعليمي، وهم بذلك صـوروا تلـك الحقبـة تصـويرا صـادقا، والتبعة كانت على من بعدهم لِمَ لم يكن لهم تميز؟.

وقد ظهر أيضا أننا بحاجة إلى الإفادة من تلـك التجـارب السـابقة، في وضـع إطار عام لدراسة البلاغة، مستضيئين في ذلك بمناهج النـاجحين في هـذا الجانـب، وقـد قدمت هذه الدراسة موازنة بين منهجين مهمين في هـذه القضـية، يمكـن مـن خلالهـا معرفة مواضع التميز والأخذ بها ، ومواطن الخلل وتجنبها.

وهذا يؤكد أن وجود دراسة مقنعة تعيد للبلاغة رونقها أمر ليس بالصعب

ونحن نحتاج أيضا إلى نفعية البلاغة، بحيـث تكـون مشـاعة للجميـع، سـهلة التناول، لأن من مقاصدها تفسير مواطن الجمال، ومعرفة شـيء مـن إعجـاز كـلام الله العظيم، وكلام نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.

الحواشي والتعليقات

(١) - الشاهد البلاغي وإشكالية النموذج ، مجلة جذور تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجـدة ، العـدد الخامس، عام ١٤٢١هـ ص٣٨٤.

(٢) - المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميـة، بـيروت، ط (١)، عام ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م ص ٥.

(٣) – الشواهد الشعرية في كتاب أسرار البلاغة –توثيق وتحليل بلاغي- رسالة ماجسـتير ، الجامعـة الإسلامية كلية اللغة العربية، عايد سليم الحربي، إشـراف أ.د. علـي البـدري، ١٤١٥هـ ـ، (المقدمة).

(٤) - انظر تفصيل ذلك في: إتحاف الأمجاد في ما يصح به الاستشهاد لمحمود شكري الألوسـي، تحقيـق: عدنان عبدالرحمن الدوري، مطبعة الإرشاد بغداد،١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م ص٦٤ وما بعدها .

(٥) - العمدة ، لابن رشيق، بتحقيق د. النبوي شعلان، الخانجي مصـر ط(١) ١٤٢٠هـ ـ، ٢٠٠٠م، ج٢/٩٨٥، وانظر الخصائص ، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصـرية ط(٢) ١٣٧١هـ ١٩٥٢م،ج١/٢٤.

(٦) – انظر مقال: الشاهد البـلاغي وإشكالية (النموذج)، مجلة جـذور، العدد (٥)، ص٣٩٣.

(٧) - الشاهد البلاغي وإشكالية (النموذج)، مجلة جذور، ص٣٨٤، ٣٨٥ .

(٨) - معجم شواهد العربية ، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخـانجي بمصـر- ط(١) ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، ص٥.

(٩) – تأريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص، أحمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلـبي- بمصر ط(١) ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، ص(٥٧).

(١٠) – البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف ط(٤)، ص٢٧٣،٢٧٢.

(١١) – انظر : البلاغة تطور وتاريخ ص٢٧٣.

(١٢) - انظر: أحاديث في تاريخ البلاغة، ، د. عبد الكريم محمد الأسعد، دار العلـوم الريـاض، ط(١)

١٤٠٥هـ،ص٤١

(١٣) - تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص٢١ .

(١٤) - انظر مثلاً : عبد القاهر الجرجاني في بلاغته ونقده ، د.أحمد مطلوب، والصورة البلاغيـة عنـد عبد القاهر، د.أحمد علي دهمان، وعبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، د.أحمد أحمـد بدوي ، ونظرية عبد القاهر في النظم، د.درويش الجندي ، وعبد القاهر والبلاغة العربية، د.محمد عبد المنعم خفاجي.

(١٥) - عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ، د. أحمد أحمد بدوي، مكتبـة مصـر ط(٢) ص٢٩٩ .

(١٦) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق عبد الرازق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(٢)، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ج٥٨/١.

(١٧) – معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر ، د. محمد بركات أبو علي، دار الفكـر، عمـان، ط(١)، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ص١١٥.

(١٨) – ومن أراد أن يعرف مكانة الشعر عنده فليطلع على الفصل الذي كتبه في الشعر وم لنه وذم من زهد فيه في دلائل الإعجاز ص١١-٢٧.

(١٩) - العقد الفريد ابن عبد ربه، تحقيق خليل شرف الدين، دار الهـلال بـيروت الطبعـة الأخـيرة ١٩٩٩م، ج١٦/١.

(٢٠) - أحاديث في تاريخ البلاغة ص٧٢.

(٢١) - دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي بالقـاهرة، ط (٢) ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ص ٨٩.

(٢٢) - البلاغة تطور وتاريخ ٢١٨.

(٢٣) - الشاهد الشعري في البلاغة العربية، (نموذج: المتنبي) ، د. مصطفى الجوزو، مجلة الفكر العـربي العدد ٤٦ عام ١٩٨٧م، ص٦٩.

(٢٤) - الشاهد العربي في البلاغة العربية ص٧١، وقد نبه على ذلك الأستاذ/ محمد أمـين المـؤدب، في مقاله: الشاهد الشعري وإشكالية النموذج، مجلة جذور عدد(٥)، ص٤١٠.

(٢٥) - انظر مقال: الشاهد الشعري في البلاغة العربية ص٦٩.

(٢٦) - أسرار البلاغة ١٣٤.

(٢٧) - الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز ، د. نجاح الظهار ط(١) ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ج١٣٢٦/٣.
(٢٨) - انظر: الشاهد البلاغي وإشكالية (النموذج)، مجلة جذور عدد (٥)، ص٣٩٢.
(٢٩) انظر تفصيل مناهج هذه الكتب في : الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجـاز . ١/ ٦٢ - ٦٧
(٣٠) الرواية والاستشهاد باللغة في ضوء علم اللغة الحديث، د.محمد عيد، عـالم الكتـب، القـاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٩٥ ، ١٩٦.
(٣١) - كقوله هو في الحماسة ، أو أنشده صاحب الكتاب، أو كبيت الكتاب، انظر: دلائل الإعجـاز ١٤٦، ١٤٧، ٢٣٦.
(٣٢) - انظر مثلاً صنيعه في الحذف، الدلائل ص١٤٦-١٤٩ و ١٨٤،١٨٥، و٢٦٨،٢٦٩.
(٣٣) - انظر مثال ذلك : قول ابن البواب:

وصيرني هواك وبي   لحيني يضرب المثل

فقد نسبه في الدلائل ص٩١ وأغفله في ص٢٩٦، وعلى هذا لو اعتبرنا ما نسبه ولو مرة معدوداً في المنسوب لانخفض العدد الذي ذكرناه فيما أهمله، والبيت لم يعزه عبدالسلام هارون في معجمه (٢٩٦/١)، إلا إلى الدلائل.
(٣٤) - انظر دلائل الإعجاز ص٢٠٥ و ٢١٤.
(٣٥) - الشواهد الشعرية في كتاب (أسرار البلاغة) رسالة ماجستير ص٧٨٢.
(٣٦) - البلاغة تطور وتاريخ ٢١٨.
(٣٧) - انظر مثلاً الحذف ص١٤٦ و١٧٢، وفروق الخبر ص١٧٣، والفصل والوصل ٢٢٢.
(٣٨) – دلائل الإعجاز، ص١٤٧، وانظر أمثال ذلك ص٢٤٤، ٢٧٩ وما بعدها و٣١٧ .
(٣٩) – والبيت هو: (وكأن لمع بروقها   في الجو أسياف المثاقف) ، وهو لعلي بن محمد العلوي الحماني، ولم يعزه عبدالسلام هارون إلا إلى أسرار البلاغة.
(٤٠) – أسرار البلاغة ١٨٩،١٩٠ .
(٤١) – دلائل الإعجاز ٨٨ .
(٤٢) – دلائل الإعجاز ١٥١ .
(٤٣) – انظر كل ذلك في أسرار البلاغة ١٨٨-٢٠٥ وما بعدها .

(٤٤) – دلائل الإعجاز ٤٨٩ .

(٤٥) – انظر دلائل الإعجاز ٤٨٩-٥١٠ .

(٤٦) – دلائل الإعجاز ٥٧٥ .

(٤٧) – أسرار البلاغة ١٤٩-١٥٠، والبيت الأول: لعنترة،وهو في ديوانه، دار صادر بيروت،ص ٣٢، ولفظه في الديوان: تتابع، وهو في الأسرار، وفي الحماسة بلفظ تتايع، انظر شرح الحماسة للتبريزي ٣٩٢/١، والثاني لامرئ القيس وهو في ديوانه بتحقيق مصطفى الشافي ص١٧٠ .

(٤٨) – عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ، د/أحمد مطلوب، وكالـة المطبوعـات الكويـت، ط(١) ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، ص٢٢٧.

(٤٩) – الشواهد الشعرية في كتاب (أسرار البلاغة) ص٨٦٤.

(٥٠) دلائل الإعجاز : ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، والبيت الأول للوأواء الدمشقي،وهو في ديوانه ، تحقيق سـامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق،ط١ ١٩٥٠م، ١٣٦٩هـ، ص ٨٤.والبيت الثاني في ديوان أبي نواس، شرح وضبط علي فاعور،دار الكتب العلمية،بيروت،ط٢، ١٤١٤هـ،١٩٩٤م ص٤٩، وهو فيه بلفظ:يبكي فيذري الدر من نرجس ويلطم الورد بعنـاب ، والبيـت الثالث في ديوان المتنبي ، بشرح العكبري، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة بيروت، ٢٢٤/٣.

(٥١) دلائل الإعجاز ١٥١ .

(٥٢) دلائل الإعجاز : ٨٠ ، ٨١ .

(٥٣)لعله لو قيل : إذا حُقق فيها النظر كانت كالأشياء ... لكان أوضح .

(٥٤) أسرار البلاغة ٢٦،٢٧.

(٥٥) دلائل الإعجاز ٣٦ .

(٥٦)إنما قلنا هنا (ألف) ، لأن المذكور سابقاً هو عدد الشواهد وهنا عدد الأبيات ، وبعض الشـواهد تكون عدة أبيات

(٥٧) عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ٣١٠ .

(٥٨) البلاغة عند السكاكي ، د/ أحمد مطلوب ، دار النهضة ، بغداد ، ط (١) ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م ص ١٨٣.

(٥٩) البلاغة عند السكاكي ١٨٣ .

(٦٠) انظر المفتاح ص ٢٦٠ .
(٦١) انظر المفتاح من ص ٣٣٢ إلى ٢٤٦ ، أربع عشرة صفحة لا يوجد فيها بيت واحد بينما اشتملت على سبع وستين آية .
(٦٢) البلاغة عند السكاكي ١٨٥ .
(٦٣) الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز ص ١٣٠٨.
(٦٤) الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز ص ١٣١٦ .
(٦٥) مقاصد البلاغة عند السكاكي، مقال في مجلة الفكر العربي، بيروت،عدد(٤٦)، عام ١٩٨٧م، ص٦٥.
(٦٦) انظر : أسرار البلاغة ٧-١٩.
(٦٧) انظر : الإيضاح، للخطيب، تحقيق:د.محمد عبدالمنعم خفاجي،دار الكتاب اللبناني،ط٧، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص ٥٣٦- ٥٤٣.
(٦٨) انظر: المفتاح ٤٢٩- ٤٣١.
(٦٩) انظر : المفتاح ١٨٦ ، ٢٣٠ ، والإيضاح ٣٨ ، ٣٩ ، ٨٨ ، ١١٠ ، والبيت الذي ينقله القزويني عن السكاكي هو :

إذا شاءٌ ضالعٌ مسجورة ترى حولها النبع والسأسما ، انظر المفتاح ص ٢٣٠ ، ولم أعثر على قائله .

(٧٠) انظر دلائل الإعجاز ١٥٦ - ١٧٠ ، والإيضاح ١١٠ - ١١٣ .
(٧١) وهو قول الشاعر : ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرانين ميسما ، انظر الإيضاح ص٩٢ ، والبيت للمتلمس الضبعي وهو في ديوانه، تحقيق : كامل الصيرفي، منشورات معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، ١٣٩٠هـ،١٩٧٠م ، ص٢٩.
(٧٢) مقدمة الإيضاح ص ١ .
(٧٣) القزويني وشروح التلخيص ٢٠٩ .
(٧٤) هما : القصص آية ٢٣-٢٤ والموضع الثاني : النحل آية ٩ .
(٧٥) هي : القصص آية ٢٣-٢٤ ، الزمر ٩ ، النحل ٩ ، الشورى ٢٤ ، الأنعام ٣٩ ، الإخلاص ١ ، ٢ .
(٧٦) هي : القارعة ١٠ ، ١١ ، التوبة ٦٢ ، النور ٥٣ ، يوسف ١٨ ، يونس ٢٥ ، البقرة ٢٢ ، الفرقان ٤١، الأعراف ١٤٣ ، الروم ٤٠ ، الضحى ١-٣.

(٧٧) مقاصد البلاغة عند السكاكي، مجلة الفكر العربي، بيروت،عدد(٤٦)، عام ١٩٨٧م، ص٦٥.

(٧٨) انظر المفتاح ٤٠٢وما بعدها. .

(٧٩) انظر المفتاح ٤١١، والبيت لم أعثر على قائله.

(٨٠) انظر الدلائل ٣٠٦ - ٣١٤ ، والفتاح ٤٠٥ - ٤١٢ .

(٨١) انظر الإيضاح ٢٨٦ - ٢٩٤ .

(٨٢) انظر الإيضاح ٦٣ ، ٦٤ وغيرها .

(٨٣) انظر دلائل الإعجاز ١٤٦ ، ١٤٧ ، فقد أسند بعض الشواهد للكتاب لسيبويه .

(٨٤) ولا يستثنى من ذلك إلا ما أسنده للكتاب في شاهد واحد في حذف الفعل ، انظر المفتاح ص ٢٢٦

(٨٥) المفتاح ص ٦ .

(٨٦) الإيضاح ص ١ .

(٨٧) المفتاح ص ٦ .

(٨٨) الإيضاح ٨٨ . ومثله الذكر ، والتقديم ، والتعريف ، ومن أظهر ذلك ما سرده في حذف المسـند إليه ص ٣٨ .

(٨٩) البيت لبشار بن برد وهو في ديوانه، تحقيق السيد محمد بدر الدين العلوي،دار الثقافة، بـيروت،ص ١٧١.

(٩٠) انظر أسرار البلاغة ٢٨٨ .

(٩١) انظر المفتاح ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٤١ .

(٩٢) انظر الإيضـاح ٧٩ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ١٩٠ ، ٢١٧ ، ٣١٠ ، ٣١٦ ، ٣٣٢ ، ٣٤٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ .

(٩٣) انظر الإيضاح ٢٠٦ ، ٢٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٦٧ .

(٩٤) انظر الإيضاح ١٠٣ ، ٣٢١ ، ٣٧١ .

(٩٥) انظر الإيضاح ٤٧ .

(٩٦) البلاغة عند السكاكي ١٨٣ .

(٩٧) المفتاح ١٧٦ ، والبيت لم أعثر على قائله، وقال عنه محمود شاكر في تعليقه على الدلائل: مشـهور غير منسوب.

(٩٨) انظر الإيضاح ٣٨ ، ٣٩ .

(٩٩) دلائل الإعجاز ١٥٢، والبيت لبكر بن النطاح.

(١٠٠) المفتاح ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ، والبيت الأول لم أعثر على قائله، والثاني سبق في حاشية (٨٩). والبيت الثالث للعباس بن الأحنف، وهو في ديوانه، دار بيروت، بـيروت،١٤٠٠هـ ـ، ١٩٨٠م، ص ٢٤٨.

(١٠١) انظر ذلك في أسرار البلاغة ٣٠٣ - ٣٠٩ .

(١٠٢) انظر الإيضاح ٢٥٩ .

(١٠٣) المفتاح ص ٦ .

(١٠٤) البلاغة عند السكاكي ١٨٣ .

(١٠٥) المفتاح ١٨٩ .

(١٠٦) المفتاح ١٨٩ .

(١٠٧) انظر الإيضاح في أخذه عن عبد القاهر مثلاً : ٦٠ ، ٧٢ ، ٩٣ ، ١٤٠ ، ١٧٦ ، ٢١٥ . وعن الزمخشري : ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٩ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٤٧ ، ١٥٩ ، ١٩٣ .

(١٠٨) مقدمة المحقق لكتاب الإيضاح (ج) .